مدخل الى اللغة العربيّة

ناصر العوفي



Introduction to the Arabic language

Hogskolan Dalarna.

Nasser Al Owfi

2018-2021

لابد ان انوه ان هذه الدراسات ليست رسالة جامعية كما هو واضح بل هي تكاليف تأتي ضمن المنهج لدراسة الادب العربي الحديث الذي تقيمه جامعة دالارنا السويدية عن بُعد.
ما يلفت النظر في هذه الدورات هو ان الطلاب من اقطار عربية شتى وأصحاب تخصصات لا ترتبط واللغة العربية وآدابها لكنهم يدرسونها بهدفين، اما يكملون فيها دراساتهم الخاصة مثل معهد المعلمين وفروع جامعية أخرى والشكل الآخر هواة وعشاق للغة العربية يحبون دراسة العربية في مناهج غربيٍة وتزويد انفسهم بمهارات اللغة العربية وسبُل النقد الحديث ومدارسه الفلسفية. ممكن القول ان المنهج هذا يغطي اغلب الأقطار العربية ويدرس الشعر والقصة والرواية بأسلوب عصري وبواسطة أساتذة على درجة عالية من المعرفة وأصحاب شهادات متقدمة وهذا يجعل الطالب يشعر بالتقدم باللغة العربية من اول فصل يدرسه ويشارك في فعالياته الأدبية حسب الجداول المعينة.
من اهم المصادر التي وجدتها ثرية بالمعلومات ورائعة في الطرح هي: تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر، الدكتورة نفوسة زكريا، وكان بحث يائية مالك بن الريب التميمي بحثا استغرق مني زمانا طويلا وعرفت من خلال قراءة المصادر أهمية هذه القصيدة وما يدور حولها من نقاش بين الدارسين والنقاد في الادب العربي وخاصة الشعر القديم.

1

تطور الشعر العربي

بحث تقدمت به لجامعة دالارنا في السويد ضمن منهج دراسات الادب العربي الحديث

تطور الشعر العربي

- دور الشاعر ، تطور الشعر العربي
- التطور من الجاهلية الى الوقت الحاضر
- الدور الحالي للشاعر في المجتمعات العربية الان
- التطور في الاوزان التقليدية في الشعر العربي
- الشعر الحر ، شعر اللهجات ، شعر المقاومة

مقدمة

في بحث تطور الشعر العربي تُؤخذ تحولات اللغة العربية باعتبارها مصدر الشعر والآلية الرئيسية لهذه الصنعة الأدبية وما يحل باللغة يحل بالشعر ، فالحقب الزمنية التي شاركت في بناء اللغة وانعكست فيها الصور والانماط الفنية والجمالية هي ذاتها تفاعلت مع الشعر العربي من حيث اللغة واصطياد المفردات وتوظيفها في بناء القصيدة وتطويرها حسب العصر الذي تعيشه . وفي هذا السياق نفهم الشعر الاندلسي والشعر العباسي والشعر المعاصر وتحولاته الى سعي طيف من الشعراء الخروج على المألوف وخط سكك أخرى جديدة ربما تكون موازية او معارضة للمدارس المعهودة من الشعر العربي عبر تاريخه وحياته الحافلة بالإنجاز والابداع .

"وعسى ان يُستدل بذلك على حقيقة ان العربية ، دون غيرها من اللغات ، لغة سهلة مرنة معدة ومجهزة ومصممة لتبقى على مر العصور ، مقاومة لكل عوامل الفناء والبلى والانقراض ، بل ولكل مظاهر التبدل والانحراف والتحريف ."[1]

---

[1] منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة ، دراسة تقابلية ، الدكتور عبد المجيد الطيب عمر ، ص 22

تطور الشعر

الجاهلية حقبة زمانية تسبق مجيء الاسلام ترجع الى الوراء من البعثة النبوية قرنا ونصف القرن.[2] لأن ما قبل هذا التاريخ في الشعر العربي مجهول وفي هذه المدة المذكورة من هذا العصر صارت للشاعر مكانة كبيرة بين قومه فهو اعلامهم المتنقل وصحيفتهم بين الاقاليم والقبائل الأخرى وبمثابة جريدة تنتشر لتتحدث عن القبيلة ومفاخرها وتعزز قدرها بين الآخرين حتى ان القبائل تُعرف بشعرائها وتمتاز بقصائدهم التي تتناقل على الالسن ويحفظها الاقرباء والغرباء.

انّ الشعر الجاهلي شعر غنائي تام وكان يُصحب بالغناء والموسيقى.[3] وكان منهم من تغنى بشعره مثل المهلهل والسليك وحسان بن ثابت.. ويقترن الغناء هذا بآلات موسيقية.[4] كما ان هناك اناشيد تنتشر لهم عندما يضحون بالأضحية تقربا للآلهة.[5]

اما في هذا العصر وقع تقدم للأدوات الموسيقية وان الموسيقى صارت تنوّط وتعزف بشكل جماعي ووجدت لها جماهير تتابعها من خلال شاشات التلفاز والقنوات والاذاعات، فدخلت القصيدة العربية زمانا جديدا لم تدخله ولم تجربه من قبل. يأخذ الملحن القصيدة من التراث العربي او من الشعراء الجدد فيعطيها للمغني ليسمعها الى الجماهير المتلهفة في كل الارجاء.

---

[2] تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف, الطبعة 11, دار المعارف, ص 38

[3] المصدر ذاته ص 193

[4] المصدر ذاته ص 191

[5] المصدر ذاته، ص 205 و206

في العصر الحديث تداول الشعر بشكل وسيع وصار شعبيا ونزل الى الشارع والسوق ليتردد على الالسن عابرا الحدود الجغرافية. هذه السهولة في التنقل والعبور اثّرت في الشعراء واشعارهم حيث تقربوا الى الجماهير وظلوا يكتبون عن هموم الشعب. خرج الشعر في العصر الحديث من القصور ومن دواوين الامراء ليصبح مشاعا ومتاحا على دكات الجرائد، وصار بالإمكان نقده وتقييمه في المؤسسات العلمية والجامعات وبين الاوساط الادبية.

طرح الاشكاليات

في تناول دراسة اللغة العربية واللهجات هنالك إشكاليات تُطرح وهي: هل بين الاثنتين تباين وتنافر تدفع كل واحدة منهما الأخرى بهدف القضاء عليها؟ أم انّ هناك تزاوج واندماج يخرج منه لغة وسيطة؟ هل اللهجات تهدد وجود الفصحى؟ ما الأسباب التي كرّست اللهجات وجعلتها رائجة؟ في هذا العصر الحديث وفي وجود التقنيات وشبكات التواصل الاجتماعي كيف يجب التعامل مع الفصحى واللهجات؟ ما الدور الذي تلعبه الفصحى في الكتابة والنطق للحفاظ على الهوية العربية للامة؟ والشعر العربي الذي هو الوجه البارز للغة العربية وصنعتها المميزة، كيف تعامل مع هذه التغييرات؟ وفي الجدل الذي تصنعه هذه الأسئلة وبين واقع اللغة العربية اليوم والاستخدام الوسيع للهجات يمكن القول ان اللهجات الشعبية رائجة ومُستخدمة لدى الشعوب العربية، اما الفصحى فإنها لغة التعليم والاعلام والصحافة والدوائر الرسمية، والرواج للهجات يلقي بظلاله على

الفصحى لتنحسر دائرتها بين النخب وهذا ما يؤيد قول بعض علاء اللغة بأنّ هناك لغتين هما العربية واللهجة .
دور الشاعر، تطور الشعر العربي، التطور من الجاهلية الى الوقت الحاضر في تناول الشعر الجاهلي لابد من معرفة البيئة التي نشأ فيها وظهر منها هذا الشعر، فالبيئة الجغرافية الاجتماعية الصانعة لهذا الادب الذي سبق وجوده ظهور الإسلام، كان الشاعر الجاهلي فيها يتحلى بصفات الفروسية والشجاعة والنخوة ويتمتع بمعاشرة النساء وشرب الخمور تلك الصفات التي نهى عنها القران وامر الناس بالتخلي عنها. "والمرأة لم تكن مهملة في الجاهلية، بل كان لها قدرها عندهم، كما كان لها كثير من الحرية، فكانت تمتلك المال وتتصرف فيه كما تشاء." [6]
وكانت المرأة تحث القبيلة على الاخذ بالثأر والانتقام إذا خسرت قريبا لها في الحرب وترفض الديات التي يدفعها القتلة من القبائل الأخرى وتحسبها ذلا وعارا. فالشاعر يتميز بعزة النفس والانفة والشجاعة والسخاء، الصفاة التي ترفع مكانته بين قومه ليكون مثالا واسوة، إضافة الى انه لسانهم وجريدتهم. "
ذلك ان شعراء العرب في بادئ الامر كانوا لا يتكسّبون بالشعر، وكان الشاعر في الجاهلية، كما يذكر الجاحظ ومن تابعه من النقاد، ارفع منزلة من الخطيب، لحاجتهم الى الشعر في تخليد المآثر وحماية العشيرة، فلما تكسبوا بالشعر صارت الخطابة فوقه ودامت هذه المكانة للشعر عند المسلمين ما ذكر بفضيلة او حث على خير. . . فكانت مهمة الشعر هي تسجيل

---

[6] تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعرف، ص 75

المحامد وتصوير آيات البطولة الخلقية لتجد سبيلها الى النفوس ، ثم الدفاع عن القبيلة . "[7] وعلى هذا النحو لا سواه علينا ان نفهم بيت أبي تمام إذا أردنا ان نصوب معناه ، حين يقول :

ولولا أمورٌ سنّها الشعر ما درى
بُناة العلا من اين تؤتى المكارمُ[8]

أصطلح اللغويون على تسمية اللغة التي وصلتنا من خلال النقوش العربية القديمة التي تمثل نصوصا عربية قريبة من العربية الفصحى وتعود الى القرنين الرابع والخامس الميلاديين ، او قبل ذلك ، بالعربية البائدة في مقابل العربية الباقية التي وصلتنا من خلال الشعر الجاهلي والقرآن الكريم .[9] وهكذا جمع شعراء المدح في الإسلام بين فكرة التعيين الإلهي وبين القيم الجاهلية للقوة والشهامة وفكرة النُبل التي تجسدها هذه القيم لتوليد اسطورة عن المصير الجلي الإسلامي بمعن التاريخ الغاي للإسلام المنتصر .[10]

هناك خصائص مشتركة بين الشعر الجاهلي وبين الشعر الحديث من حيث الشكل والالتزام بقواعده من اوزان وقوافي وعروض الى صور مستوحاة من الطبيعة وان الاذن العربية بقيت وفية وذوّاقة للشعر العربي الذي توارثته عبر القرون. تغيرت لغة الشعر حسب الأزمنة والعهود التي توالت على البيئة العربية ، ولانت هذه اللغة بعد مجيء الإسلام ومالت الى السهولة والمرونة والرقة في العصر الاموي

[7] دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده ، الدكتور محمد غنيمي هلال ، ص23

[8] المصدر ذاته ص 23 ,

[9] العربية تطور وتاريخ ، الدكتور كريم زكي حسام الدين ، ص 70

[10] القصيدة والسلطة ، سوزان بينكني ستيتكيفيتش, ترجمة وتقديم حسن البنا عز الدين, ص338

والعباسي بعد ان دخل الشعر العربي القصور وصار حضوره يرتبط بالسلطان والحكم. ووفق هذه التحولات تغير الشاعر وصار جليس الامراء او عدوهم أحيانا لكنه ترك الصحراء والبادية ودخلت مصطلحاتٌ الشعرَ تناسب هذه الأحوال.
في العهد العباسي تأثر الشعر بالترجمة والأفكار التي كانت تتبادل بين المدارس الدينية والفلسفية والفقهية وفي العهد الاندلسي تأثر بالاختلاط الثقافي والاجتماعي بين العرب الفاتحين والكتل الاجتماعية المغلوبة صاحبة الثقافة اللاتينية وظهرت سبل أخرى في الشعر العربي لم يعهدها في العصور العربية التي سبقت هذا التحول. لسبب انشغال الدولة العثمانية بالحروب والانقلابات تهمّش الشعر العربي الى حد كبير وما استمر منه هو الاشكال والانماط الصوفية وشعر المناسبات حتى حدوث الحرب العالمية الأولى وطي صفحة السلطة العثمانية وارتباط الأقاليم العربية بالعالم مرة أخرى مستقلةً بهويتها العربية وثقافتها الشرقية.

الشعر العربي في العصر الحديث

اللغة تتوسع وتنتشر حسب مركزها السياسي والثقافي والدوائر التي تدور حول هذا المركز والمؤسسات التي تقوم بنشرها او بفرضها على الجغرافية السياسية التي تفتحها وتُخضعها الى سيطرتها، وفي القرن التاسع عشر والقرن العشرين وقبل هذا الثورة الفرنسية وتحول الحياة في أوروبا من الزراعة والرعي الى الحياة الصناعية، احتاجت أوروبا الى مواد خام لمصانعها واسواقا لمنتوجاتها لذلك بسطت هيمنتها على افريقيا والوطن العربي وهذا رسّخ اللغات الأوروبية خاصة الفرنسية والانجليزية

في البلدان العربية . هذا الحضور الاستعماري والتقني والمعرفي انعكس على المناهج في المدارس والجامعات وتأثرت اللغة العربية به تأثيرا سلبيا وايجابا ، فاللغة التي كانت قد ازيحت عن عرشها في العصور الخمسة التي سبقت الحرب العالمية الأولى قد نهضت من جديد في الدول العربية التي قامت وراء هذه الحرب . لانتشار اللغة ولانكماشها أسباب وعوامل ، " غير انّ كل توسع لغوي يجري على حساب لغات أخرى ، وبروز لغة ناشرة انما هو نوع من المبارزة في مجال اللغة . "[11] ولانّ اللغة تمثل هوية الشعوب ، تقوى بقوة شعوبها وتضعف بضعفهم . "[12]

" ان اهم العوامل التي قللت من شأن اللغة العربية في المجال الحضاري الدولي في مرحلة تفسخ الدولة العربية الإسلامية وتفككها ، كان ظهور دولة حاكمة في شرق وغرب الدولة الإسلامية تعترف بالعربية في إطار الدراسات الإسلامية فقط . " [13] ظهور الدولة الفارسية من الشرق والدولة العثمانية من الشمال العربي وتنافسهما وحروبهما المستمرة على ارض الشرق العربي أضعف اللغة العربية وروّج للهجات بين الأقاليم لغياب الحكومة العربية المركزية الداعمة للغة العربية في الديوان والمدارس .

تدوين وتوثيق الشعر في العصور القديمة لم يكن معمولا به وجاءت حركة الكتابة متأخرة حتى نهاية القرن الأول الهجري وهذا الامر جعل ان يشكك في الروايات المستشرقون والباحثون .

---

[11] حرب اللغات والسياسات اللغوية ، لويس جان كالفي ، ترجمة حسن حمزة ، ص 195

[12] مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته في تعليمية اللغة العربية في الجزائر ، المجلس الأعلى للغة العربية ، منشورات المجلس 2017 , ص 25

[13] بين العامية والفصحى : مسألة الازدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة والاعلام الفضائي ، ايمان ريمان ، علي درويش . ص 73

"بينما كان الشعر في الجاهلية بديهة وارتجالا وكأنه الهام. . فما هو – الشاعر – الا ان يصرف وهمه الى جملة المذهب والى العمود الذي اليه يقصد، فتأتيه المعاني ارسالا وافواجا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا، ثم لا يقيده على نفسه. "[14]

اما الشعر العربي الحديث فانه تعرض للانقطاع الادبي والتداخل الثقافي لذلك ظهر في أوائل القرن العشرين متمسكا بالمدارس القديمة حاملا في طياته من الحداثة صورها واساليبها محافظا في الشكل على النمط القديم، ثم جاء الشعر الحديث او شعر التفعيلة الذي خرج فيه عن الشعر القديم بالشكل والصور وتلاه الشعر الأبيض الذي لا يلتزم بالتفعيلة، الا انه صنع جدلا كبيرا لدى النقاد لكونه شعرا ام نثرا، لا يختلف عن النصوص الأدبية قديمها وحديثها.

إضافة الى ظهور الشعر الحديث بأشكاله المختلفة ومشاربه الأدبية والفلسفية، ظهر شكل من الشعر الاعتراضي والاحتجاجي او يسمون أصحابه: " شعراء الأرض المحتلة"[15] وهذا الظهور تبنى الدفاع عن القضية الفلسطينية.

اخذ الشعر العربي الحديث يتناول قضايا الامة العربية منها حضورها الثقافي بين الأمم وتطلعاتها الى تولي عرشها المفقود في الوحدة والانسجام واستقلالية صناعة القرار السياسي ليجد الشعراء الجدد انفسهم في مواجهة السلطات العربية والأنظمة تارة وفي مواجهة الشعوب العربية تارة أخرى, فمن جانب يوجهون سهامهم الى هشاشة او حتى عمالة الأنظمة العربية ويلومون الشعوب على التبعية

---

[14] الشعر الجاهلي، شوقي ضيف ص 156, نقلا عن الجاحظ في البيان والتبيين 3\28,

[15] اتجاهات الشعر ص 51

او السكوت الذي يرونه مساهمة في ترسيخ التخلف عن الركب العالمي السائر الى التطور والتقدم الإداري والتقني وتملّكه المفاهيم السلوكية القيمية ليأخذ الشعراء العرب مرة اخرى الأدوار التاريخية القديمة التي كانت قد تقلصت بظهور الإسلام ونشوء طبقة دُعاة الى القيم والمبادئ والمُثل العليا وانشغال الشاعر في الديوان والنساء والمديح والهجاء. رافق هذا الاتجاه في الشعر العربي شعرُ اللهجات وانتشر بشكل كبير في القنوات التلفزيونية والاذاعات والجرائد والمجلات الأدبية .

شعر اللهجات

المشكلة اللغوية في العصر الحديث هي التفاوت والفرق بين العربية المكتوبة والاخرى المستعملة في التخاطب ، وهذه اللهجة متحللة من ضوابط الاعراب وقواعد اللغة ما يجعلها ضعيفة فاقدة القابلية للتداول في الكتابة والنطق. واللغة العربية الفصحى تُعدّ من اهم ركائز الامة والتي تحافظ على وحدتها وتراثها وتماسكها الثقافي والسياسي وهويتها القومية التي تبرز من خلالها لتشارك الثقافات في العالم في الابداع والانتاج الادبي والثقافي. كانت اللهجات مرافقة للغة العربية من أقدم العصور وهذا امر طبيعي لان الانسان تغلب عليه الأصوات، ومظاهر البيئة ،ولحون قومه وأهله. "مما جاء من لهجات في اللغة العربية لدى القبائل المختلفة هي الكشكشة وهي ابدال الكاف شينا في حالتي الوقف والوصل ، تعزى اهذه اللهجة الى اسد وبكر وتميم ، ومن امثلة الابدال في الوقف، قول رؤبة :

تضحك مني ان رأتني احترش
ولو حرشت لكشفت عن حرش
عن واسع يغرق فيه القنفرش

وقول الراجز :
هل لك ان تنتفعي وانفعش
فتدخلين اللذ معي في اللذ معش

وقول مجنون ليلى ، قيس بن الملوح :
فعيناش عيناها وجيدش جيدها
ولكن عظم الساق منك دقيقُ" [16]

والكسكسة وهي تقابل الكشكشة وهي زيادة سين على الكاف المخاطبة في الوقف كقول رايتكس وعلكس وبكس وعزاها اللغويون القدماء الى هوازن، ربيعة ومضر. وهناك العنعنة وهي ابدال همزة ان المفتوحة عينا، والفحفحة وهي ابدال الحاء عينا، والاستنطاء وهي ابدال العين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء وتنسب هذه اللهجة الى هذيل وقيس والازد واهل اليمن. جاء في الحدي : اليد المنطية خير من اليد السفلى، كما قرأ ابن مسعود: انا انطيناك الكوثر. [17]
وكما هو معلوم مما جاء ان هذه التغييرات الطارئة على اللغة العربية تحت عنوان اللهجات القبلية ليست جوهرية وأنها تعديلات صوتية اختصت بها القبائل وفي ذات الوقت احتفظت بالأسس والاركان والقواعد اللغوية للعربية ولم تلحن ولا تخرج عن نحوها وصرفها بل جاءت هذه اللهجات بالإبدال وهو لا يضر اللغة وكانت العربية هي اللغة القائمة في جزيرة العرب، بينما ما حدث في العصر الحاضر هو ان اللهجات عبرت هذه الحدود من التغيير حتى وصفت بانها لغات جديدة أخرى تختلف عن

[16] العربية تطور وتاريخ، دراسة تاريخية لنشأة العربية والخط وانتشارهما، د. كريم زكي حسام الدين، ص 18
[17] المصدر ذاته ص 18-22

العربية لإحداثها تغييرات كبيرة في اللغة في الجموع وصرف الأفعال والاتيان بمصطلحات جديدة .
"وتوحيد اللغة في بيئة كثيرة اللهجات قد حدث في اللغة اليونانية حيث كتب هوميروس ملحمته بلغة لا تمثل لهجة بعينها انما هي كانت نتاجا لمجموعة من اللهجات كما كانت قبل اختراع الكتابة اليونانية" [18], وهذا في صورته الأخرى يشبه توحيد العرب اللغة في القريشية في الشعر الجاهلي ثم ترسيخها في الإسلام باعتبارها لغة القران والعبادات. تطورت اللهجات بعد اتساع رقعة التعليم في الوطن العربي فتقربت رويدا رويدا الى لغة الادب الفصحى وتبادلتا اللهجة والفصحى كثيرا من المفردات والمصطلحات والصور بمرور الأيام حتى ان هناك مفردات تُرجمت من اللغات الاجنبية فراجت في اللهجات وانتقلت في آخر المطاف الي الفصحى ، مثالا على ذلك كلمة بلطجي او شبّيح واللتان صارت فعلا يُصرف فيُقال يتبلطجُ .
أفكار واطروحات تثبيت اللهجات كلغات تعليم ولغات رسمية لم تمرر فبقيت هذه اللهجات على ما هي عليه من مكانة والسبب يرجع الى ان اللغة العربية لها دعائم قوية وصلبة لا تهزمها اللهجات المنتشرة في الأقاليم الجغرافية العربية ، هذا جعل اللغة العربية منيعة لا تقبل التسلل اليها بغية منافستها او اضعافها بشكل من الاشكال. " فاللسان العربي هو الجامع لجمعيات الممالك المتفرقة والدول المتباعدة المتحدة في الدين والشريعة المتباينة في

[18] العربية تطور وتاريخ ، ص 28

اللغات العامية."[19] ولهذا اكتسبت العربية قدسية وهذه القدسية تجلت في الخط العربي واختص هذا الخط بكتابة وتدوين القران وفي العصر الحديث وجد له انماطا فنية في الفنون الجميلة وصار فنا مستقلا بذاته وانتشر استعماله في الاعلام وفن الزخرفة ودور العبادة وفي لافتات المرور في الطرق.

"استدل مناصرو تثبيت اللهجات على انها لابد ان يُعترف بها ومن دلائلهم رواجها في الاغنية التي تطورت نصوصها في الشكل والصور وماشت التحولات التي طرأت على المجتمعات العربية وحضور اللهجات في المدارس ولدى المعلمين والنوادي وقاعات الشعر التي انحسرت على طبقات خاصة بينما انتشر الشعر الشعبي بين الأوساط المختلفة دون ان يُصنف حضوره لدى فئة بذاتها. [20]

التغييرات السياسية وتداول السلطات الأجنبية في البلاد العربية او الجيرة العربية للأعاجم تركت آثارا على تهجي الحروف ومخارجها لدى كل قوم واتت بأسماء وصِيَغ جديدة واُشتقت منها أفعال وراج استعمالهاَ مثالا على ذلك كلمة: سولف، بمعنى تحدث، ومن هذه الكلمة اشتقت اسم سالفة بمعنى قصة وفي العراق والاحواز والكويت والبحرين تُستعمل بكثافة. وجود اللهجات العربية قديم ومواز لحياة اللغة العربية ذاتها. "والترادف في العربية كثير كثرة مفرطة، وهو يُرد في جمهوره الى اختلاف اللهجات واختلاف القبائل فيما وضعته للمعاني الحسية والذهنية من أسماء وافعال، فان اللغويين جمعوا كل ما دار على السنة القوم، وبذلك اتسعت مادة معجم

---

[19] تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر، الدكتورة نفوسة زكريا سعيد, 1964, دار نشر الثقافة بالإسكندرية، ص 76

[20] اتجاهات الشعر العربي المعاصر ص 22

العربي اتساعا شديدا، وهو في حقيقته معجم عدة لهجات، نظمت في سلك واحد هو العربية." [21]
دائما كان الجدل قائما بين استعمال اللهجات على حساب اللغة العربية الفصحى او استخدامها الى جنب الفصحى ولكل حزب دلائله، فمثلا الحّ طه حسين على الكتابة بالفصحى لكون العامية ليست لغة خالدة حسب رأيه، بينما كتب فيها توفيق الحكيم في الحوار بين شخصيات رواياته مبررا ذلك انه لا يستطيع ان يجعل العتال والفراش وسائق التاكسي يتحدثون الفصحى. من قديم الزمان كان هناك الاختلاف بين اللهجات العربية قائما قبيل مجيء الإسلام، حتى سعى اللغويون ان يجمعوا اللغة من بعض القبائل العربية التي كانت لهجاتها قريبة من الشعر الجاهلي والقران الكريم، فأخذوا منها ما يشبه الفصحى في خصائصها واهملوا تلك اللهجات التي رأوا فيها اختلافا عن النمط الصحيح. [22] واعتبر العلماء اللهجات لغات أخرى والمشكلة اللغوية لدى العرب هي مَشكلةٌ كل شعب مزدوج اللغة [23]، فإننا نستخدم لغة في الحياة اليومية ولغة أخرى في البيئة الرسمية. [24]

النتيجة

شكل الشعر العربي أساسا للغة العربية وكان حضوره قبيل ظهور الإسلام حضورا وسيعا حتى ان الشعراء اكتسبوا مكانة مرموقة بين

---

[21] المصدر ذاته ص 128

[22] بين العامية والفصحى: مسألة الازدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة والاعلام الفضائي، ايمان ريمان، علي درويش،

[23] BILINGUAL,

[24] اللهجات وأسلوب دراستها، الدكتور انيس فريحة، دار الجيل، بيروت، ص 22

القبائل في الجزيرة العربية والعراق والشام وترددت اشعارهم على الالسن وحُفظت لتنتقل من صدر لصدر. في العصر الإسلامي الأول وفي نزول الوحي باللغة العربية وأداء الصلوات وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام اكتسبت اللغة العربية قوة كبيرة لتتوسع هذه القوة وتنتشر إثر الفتوح الإسلامية شرقا وغربا.

لم يمر هذا التوسع والتمدد دون ثمن، فبعد تألق الشعر والادب في العصر الاموي، دخلت الاعاجم في العصر العباسي الى الديوان العربي وراجت المفردات الدخيلة في اللغة العربية، وتلقت اللغة العربية ضربة موجعة بأسقاط المغول الدولة الإسلامية، حتى جاء عصر الدويلات والامارات. في العصر العثماني دب الضعف في اللغة العربية وهمشت عن الديوان وانحسرت في الشارع حتى حدث التبديل في وضع الدولي في الحرب العالمية الأولى لتجد اللغة العربية نفسها حيّة مرة أخرى بعد حصول الكيانات العربية على الاستقلال وحاجتها الى اللغة العربية في الإدارة والحكم.

اليوم اللغة العربية ذات مكانة كبيرة في العالم وأنها من اللغات الستة المعترف فيها في الأمم المتحدة وأنها تظهر بأزيائها الحديثة وتتجدد في الشعر والمسرح والأفلام والقصة والاعلام والديوان حاملة تراثها القيم العربي الإسلامي بمشاربه الغنية وهي تتطلع لحضور الواسع مرة أخرى كما كانت في الحقب الماضية لأنها تمتلك كل المقومات التي تمكنها من الصعود الى القمة. اما اللهجات العربية تتحرك بموازاتها في عملية اخذ وعطاء ومستعملة في البيوت والشوارع والأسواق تغطي الجانب الشعبي من الحياة. راج شعر اللهجات في الاعلام واكتسب الجماهير العربية حيث وجدته قريبا

اليها يتناول قضاياها اليومية، هذا لم يخفض صوت الشعر العربي خاصة العمودي منه فاستطاع الأخير ان يحتفظ بمكانته التاريخية، كيف لا وقد تسانده مناهج التعليم مستعينة بإرثه الحضاري الكبير. في الأخير ان شعر اللهجات حاضر في الحياة اليومية الى جانب الشعر العربي لكنه لم يصل الى درجة يقاطع فيها الشعر العربي ولا حتى ان ينافسه في مراكز البحوث والدراسات العربية والاستشراقية بالرغم من انتشاره الباهر.

2

مدخل الى اللغة العربيّة

حول العربية الفصحى واللهجات واستعمالها

في تناول دراسة اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية في شتى الأقطار العربية من المحيط الى الخليج العربي هنالك إشكاليات تُطرح وهي : هل بين الاثنين تباين وتنافر تدفع كل واحدة منهما الأخرى بهدف القضاء عليها؟ أم انّ هناك تزاوج واندماج يخرج منه لغة وسيطة؟ هل اللهجات تهدد وجود الفصحى؟ ما الأسباب التي كرّست اللهجات وجعلتها رائجة؟ كيف ممكن تحاشي أخطاء اللهجات على اللغة الفصيحة؟ في هذا العصر الحديث وفي وجود التقنيات وشبكات التواصل الاجتماعي كيف يجب التعامل مع الفصحى واللهجات؟ ما الدور الذي تلعبه الفصحى في الكتابة والنطق للحفاظ على الهوية العربية للامة؟ ليس في وسع هذه الورقة الإجابة على هذه الأسئلة بالتفصيل، لكن تتطرق الورقة اليها وبالاشارة الى آراء الباحثين وتناقشها لتتوصل الى النتائج علمية حد الإمكان.

مقدمة

اللغة العربية من اللغات السامية التي من ضمنها العبرية والآرامية والامهرية وهي الاكثر ارتباطا بشكل مستمر بالأسر اللغوية للشعوب الاصلية في شمال افريقيا. وهي تمتلك تراثا ادبيا غنيا يعود الى حقبة ما قبل الإسلام، و خلال صعود الإمبراطورية الإسلامية وتوسعتها من القرن السابع الى القرن الثاني عشر الميلادي ، أصبحت اللغة الإدارية الرسمية للامبراطورية الاسلامية، الى ذلك تعتبر هي اللغة الرائدة للتواصل العلمي والارتباط الدولي لها. العربية اليوم اللغة الام لاكثر من ٢٠٠ مليون شخص في عشرين دولة مختلفة بالإضافة الى انها اللغة الدينية لاكثر من مليار مسلم في جميع انحاء العالم. [25]

أصطلح اللغويون على تسمية اللغة التي وصلتنا من خلال النقوش العربية القديمة التي تمثل نصوصا عربية قريبة من العربية الفصحى وتعود الى القرنين الرابع والخامس الميلاديين، او قبل ذلك، بالعربية البائدة في مقابل العربية الباقية التي وصلتنا من خلال الشعر الجاهلي والقرآن الكريم. [26] دائما كان الجدل قائما بين استعمال اللهجات على حساب اللغة العربية الفصحى او استخدامها الى جنب الفصحى ولكل حزب دلائله ، فمثلا الحّ طه حسين على الكتابة بالفصحى لكون العامية ليست لغة

---

[25] A Reference Grammar of Modern Standard Arabic, Karin C. Rydin

[26] العربية تطور وتاريخ، الدكتور كريم زكي حسام الدين، ص ٧٠

خالدة حسب رأيه، بينما كتب فيها توفيق الحكيم في الحوار بين شخصيات رواياته مبررا ذلك انه لا يستطيع ان يجعل العتال والفراش وسائق التاكسي يتحدثون الفصحى. من قديم الزمان كان هناك الاختلاف بين اللهجات العربية قائما قبيل مجيء الإسلام، حتى سعى اللغويون ان يجمعوا اللغة من بعض القبائل العربية التي كانت لهجاتها قريبة من الشعر الجاهلي والقران الكريم، فأخذوا منها ما يشبه الفصحى في خصائصها واهملوا تلك اللهجات التي رأوا فيها اختلافا عن النمط الصحيح.[27]

المشكلة اللغوية

المشكلة اللغوية في العصر الحديث هي التفاوت والفرق بين العربية المكتوبة والاخرى المستعملة في التخاطب والتي تدعى باسماء مختلفة مثل المحكية والعامية والدارجة والشعبية، وهذه اللهجة متحللة من ضوابط الاعراب وقواعد اللغة ما يجعلها ضعيفة فاقدة القابلية للتداول في الكتابة والنطق. واللغة العربية الفصحى تُعدّ من اهم ركائز الامة والتي تحافظ على وحدتها وتراثها وتماسكها الثقافي والسياسي وهويتها القومية التي تبرز من خلالها لتشارك الثقافات في العالم في الابداع والانتاج الادبي والثقافي. ويُشاهد اليوم بوضوح استهداف اللغة العربية الفصيحة من جانب اطراف عدة ومن جوانب مختلفة بواسطة تيارات شعوبية او دُعاة حداثة يقللون من اهميتها ويروجون لابدالها باللهجات العربية العامية واللغات الاجنبية، معللين ذلك تارة في صعوبة تعلّم العربية

[27] بين العامية والفصحى: مسئلة الازدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة،
Rydin) Avlman Riman , Ali Darwish بلا تاريخ)

واستخدامها وتارة اخرى في افول دورها العلمي والثقافي والآكاديمي فيدعون الى استخدام اللهجات لسهولة استعمالها ولخلوّها من القواعد والحركات الاعرابية الامر الذي ان تحقق يؤدي الى تفكك الامة وتجزئتها واندثار حضارتها وآثارها الادبية الثمينة وكنوزها المعرفية العظيمة.

كانت هناك دعوة لتبسيط وتسهيل كتابة اللغة العربية وتيسير قواعد الاملاء بكتابة الكلمات حسب نطقها وكان في مقدمة من ناصر هذه الدعوة طه حسين. ولذلك قام الباحثون على رد هذه الشبهات واثبات قدرة الفصحى على التجدد والنماء لا في هذا العصر الحديث وحسب، بل في كل العصور. فوضع قسم من العلماء خطة لتوسيع اللغة وتكميل حاجاتها بوضع المصطلحات لما يتجدد من العلوم والفنون ووضع أسماء لما يتجدد من المدنية الحديثة، وابى قسم آخر الا يكون هذا التوسيع على حساب العربية ذاتها، فقالوا بوجوب تبسيطها وإماتة كثير من مفرداتها حتى يتهيأ المكان للجديد من الأسماء والمصطلحات بدون ان تزداد المادة اللغوية تضخما، وهي ضخمة بطبيعتها وواسعة سعة لا يعرف لها اول ولا آخر.[28]

ان ما يجري من طغيان اللهجات العربية على الفصحى لا يجب ان يُدعى صراعا بل هو شذوذ وخروج عن الاصل الذي ظهر منذ سقوط الدولة العباسية ثم العهد العثماني الذي تراجع فيه استخدام الفصحى ثم عهد الاحتلال الجديد الذي جاء نتيجة للحرب العالمية الاولى ونشأة الدولة القومية وبناء

28 تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر، الدكتور نفوسه زكريا سعيد

ورسم الحدود الجيوسياسية والتي عزلت الاقطار العربية عن بعضها وكرست لاستتخدام اللهجات وقوّت النعرات المناطقية والقطرية بينها حتى صار كل طرف يفخر بلهجته الدارجة .

الفصحى والعامية، نزاع ام تعاون؟

بالنظر الى ان العربية من اللغات المنتشرة في العالم ولا تملك سلطة سياسية قوية اليوم بالرغم من الأهمية الكبرى للجغرافيا والدين للامة العربية ، فالازدواجية اللغوية تكون خطرا عليها حيث اللهجات تسعى ان تنازعها على مكانتها ومساحتها الجغرافية اللغوية ولانّ اللهجات كثيرة ومتباينة فهذا الامر يلقي بظله بالتالي على النسيج الاجتماعي ليفككه ثم ينتج منه تباين ثقافي وعرقي وشعوبي يتعارض ووحدة الامة وحياتها الثقافية والعلمية والسياسية ، ولهذا التحول الى الفصحى او الوسطى ضرورة لا تسبقها أخرى . من الواضح ان عملية التحول هذه عملية صعبة ولهذا السبب يوصى بالتحول الى الوسطى بأساليب حديثة وواقعية وعلمية ، تتماشى والتقنيات والحداثة مستمدة فكرتها ووسيلتها من الواقع .[29]

والوسطى هنا ليست لغة خليطة من الفصحى والعامية ، بل لغة عربية فصحى تحمل في طياتها التجدد والحداثة في المصطلحات والمفاهيم والتعبير والأساليب ، تتماشى والعصر الحديث ، والاّ القواعد والاسس النحوية لا تمسّ بكل الاحوال .

---

[29] الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، عباس المصري وعماد أبو حسن، ص ٣٨

من الأسباب الرئيسية التي يرجع اليها تكوّن اللهجات هي الانعزال بين بيئات الشعب الواحد والصراع اللغوي نتيجة الحروب والهجرات.[30] ولقد ضمن القرآن الكريم للعربية الثبات والصيرورة بشقيها المنطوق والمسموع والمكتوب والمقروء، وتمثل هذا الثبات في أصوات اللغة العربية التي حافظت على مخارجها وصفاتها الصوتية، وتمثل في ابنية الكلمات الصرفية وقواعد اللغة.[31]
وانبعثت الشكوى من دعاة العامية من الأجانب ومن ناصرهم من أبناء العربية مرددة القول بجمود اللغة العربية الفصحى وعجزها عن مجاراة اللغات الأخرى في وضع الأسماء الدالة على الأشياء المستحدثة وفي وضع مصطلحات العلوم والفنون الحديثة. وتذرعوا بهذا الادعاء أيضا للعدول عنها الى العامية التي وصفوها بأنها اللغة الحية المتجددة المتطورة التي تسعُ الجديد من الأسماء والمصطلحات بدون قيدَ ولا شرط.[32] ولا شك ان هذا الادعاء ادعاء باطل ومردود علميا، حيث العامية بتنوعها وتباينها وفوضاها لا تستطيع ان تؤدي الرسالة العلمية المنتظر منها ان تؤديها اللغة الفصيحة.

من النقاط المهمة للحفاظ على اللغة العربية هو فرض تعليمها في المؤسسات التعليمية مثل الروضات والمدارس والمعاهد والجامعات وتدريب التلامذة على مهارات الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة وان يكون جميع

---

30 في اللهجات العربية، إبراهيم انيس ص ٢٠
31 العربية تطور وتاريخ، الدكتور كريم زكي حسام الدين ص١٠
32 تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر، الدكتور نفوسه زكريا سعيد ص ٢٢٣

المعلمين اساتذة لغة عربية ليس المعلمون في مادة الاداب فقط، وهذا يأتي بالتدريب المركّز والهادف والتعميم الإداري الرسمي. المحاضرات المدرسية والجامعية ولغة الحوار لابدّ ان تكون بالعربية الفصحى، ويُوظف الجميع طلبة وأساتذة بإستخدامها. أيضا التوجه الى العمل التطوعي والجماعي في الموسسات العامة ودعم اللغة الفصحى دعما شاملا في تقوية اللغة الفصحى وذلك من خلال الاناشيد والمسرح وكتابة والشعر والقصة والموسيقى والتي تنشر في دوريات ادبية تحليلية بالمجان او باسعار رمزية.

الدعاوى التي تتهم الفصحى بالعقم والبداوة وتلقي عليها مسئولية تخلف الامة وتدعو للعامية انها دعاوى خاطئة بل مغرضة حيث لو لم يكن الاهتمام الرسمي باللغات في الدول المتقدمة والدعم المركّز لها لما برزت بهذا الشكل ولما صارت لغة علم ومعرفة ولما استمرت بحياتها ورونقها كما هي اليوم. فللعربية سجل حافل بالانجازات العلمية والادبية والفكرية العظيمة قدمته لما كانت في تلك الازمنة اللغة السائدة والمسيطرة، ، لم تنقص في شيء في إداء واجباتها.

وهنا عليه ان يُثار السؤال الى انه كيف صار احيانا يسخر من الذي يتحدث العربية الفصيحة لو لا تفشي الجهل والامية والانحطاط الكبير الذي حل بالامة العربية التي القرآن كتابها وهو باللسان لعربي المبين وعليهم، العرب جميعا، والمسلمون، ان يقرأوه ويتعلموه ويلموه وكيف يأخذون منه الاحكام والمفاهيم وهم لا يفهمونه؟ الى ذلك كتب السيرة والحديث والتفسير والشعر والنثر بكل اشكالها.

وفي دراسة تاريخ اللغة يتضح ان المشكلة اللغوية مشكلة قديمة واللهجات نشأت معها

بعد انتشارها والهجرات التي حدثت لها وقد عالجها اللغويون سابقا بإختيارهم اللهجات الاقرب الى الفصحى وترك ما تبقى منها. ما تواجهه اللغة العربية اليوم اعقد مما واجهته في العصور السالفة وفي ايام الفتوح الاسلامية وهجراتها وتحولاتها الى بيئات حديثة لأن المجتمع العربي عليه ان يزود ذاته بآلات معرفية حديثة كي يلحق بركب الحضارة المتعددة الاطراف واحدى اهم الآلات والادوات هي اللغة.

ازدواجية اللغة

في ضوء النظريات الحالية عن اكتساب اللغة الأجنبية ، فإن اختيار مجموعة واحدة فقط من اللغة العربية للتدريس، مثل الكلاسيكية أو العامية ، سوف يضر بشكل خطير بقدرة المتعلم

غير الأصلي على التواصل بشكل فعال ,
لذا يجب تعليم كلا النوعين من اللغة معا ، كما يحدث في سياقات الكلام الطبيعي[33] .
استخدام اللغة الفصيحة واللهجات يدخل في البحوث التي تُعرف بازدواجيه اللغة، فهناك لغة مستقرة نسبيا وأخرى قد تشتمل على معايير قياسية او إقليمية. هناك تنوع متباين للغاية احيانا اما يكون أكثر تعقيدا نحويا من مجموعة مركبة من الادب المدون سوآءا من فترة سابقة او في مجتمع آخر والذي يتم تعلمها عن طريق التعليم الرسمي ويستخدمه الغالبية نطقا وكتابة، لكن لا يُستخدم في الحوارات العادية. يؤكد بعض العلماء ان في الازدواجية

---

[33] ARABIC DIGLOSSIA: STUDENT PERCEPTIONS OF SPOKEN ARABIC AFTER LIVING IN THE ARABIC-SPEAKING WORLD، **Jeremy** Palmer

اللغوية ,diglossia, ممكن للمرء ان يحمل لغتين بدلا من لغة واحدة، يستخدم واحدة في الوظائف الاجتماعية او في سياق اجتماعي محدد في حين استخدام لغة أخرى في سياق آخر. [34]

النتيجة

بالتالي يحق القول في العلاقة بين اللغة العربية الفصيحة واللهجات العربية ان يكون هناك تعاون وتآزر بدلا من ان يكون تنافرا ونزاعا، فبإمكان العامية ان تتشرب من الفصحى من الصور والالفاظ والمصطلحات ومن الممكن ايضا للفصحى ان تنهل من العامية الامثال والحكم والكنايات وروح البيئة والجو الادبي والثقافي السائد في كل منطقة وقطر، وبإخذ المواد الادبية العامية واخضاعها للبحث والدراسة في المعاهد والجامعات تكون الفصحى قد لعبت دورا كبيرا في التقريب بين اللهجات للشعوب العربية وانشاء لهجة بيضاء، وبناء جسور بين الاقطار العربية للتبادل الثقافي والتعارف الحضاري في الامة خاصة بين شقيها الغربي والشرقي كي تتحرك وتتقدم بالتدريج صوب الوحدة اللغوية والمفاهيمية والهوياتية التي تتحق بالمدى الطويل، وبعد ان تُفتح لها الأبواب الواسعة للبحوث العلمية الهادفة لتطويرها وتصفيتها من الشوائب والمفردات الدخيلة لتأخذ مكانتها

---

[34] Arabic in Iraq، A Diglossic Situation، Mohammad Jafar JABBARI

العلمية والثقافية في الأوساط المختلفة وهذه مسئولية تقع على عاتق أبناءها قبل غيرهم من الباحثين والدارسين في حقل اللغة واللسانيات .

Bibliography

فوك, ، ترجمة عبدالحليم النجار، يوهان. ٢٠٠٦. *العربية، دراسات في اللغة واللهجات والاساليب* .

حسن, عباس المصري وعماد أبو. n.d. *الازدواجية اللغوية في اللغة العربية،* .

سعيد, نفوسه زكريا. ١٩٦٤. *تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر،* .الاسكندرية.

الزغول, محمد راجي. n.d. *ازدواجية اللغة: طبيعتها ومشكلاتها في سياق التعليم،* .

AvIman Riman, Ali Darwish. 2008. *بين العامية والفصحى: مسألة الازدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة* . Melbourne, Australia : Writescope, .

JABBARI, Mohammad Jafar. 2013. *Arabic in Iraq A Diglossic Situation.*

Palmer, Jeremy. 2008. *ARABIC DIGLOSSIA: STUDENT PERCEPTIONS OF SPOKEN ARABIC AFTER LIVING IN THE ARABIC-SPEAKING WORLD.* 81 Arizona Working Papers in SLA & Teaching, Vol. 15, 81-95 .

Rydin, Karin C. n.d. *A Reference Grammar of Modern Standard Arabic, .*

3

رثاء النفس
في يائية مالك بن الريب

من متطلبات التخرج في فرع الادب العربي الحديث

جامعة دالارنا/ السويد

ناصر العوفي

2021

مقدمة

هذا البحث يسلط الضوء على يائية مالكٍ بن الريب وهو شاعر من العصر الاموي عُرِف بالشجاعة واللصوصية والتشرّد ثم الهداية والمشاركة في الجهاد حتى توفّى وهو راجع الى اهله فرثى نفسه في قصيدته اليائية واشتهرت لأنها انفردت في تصوير رثاء الانسان نفسه وفي براعة الشاعر في توصيف الصور واللحظات وهو ينازع الموت. تنوعت اشكال الشعر العربي بين الغزل والفخر، والمدح، والهجاء، والرثاء. [35]

وفي قصائد الرثاء هناك امثلة بارزة حفرت لها مكانا في الذاكرة والذائقة العربية، منها قصائد الرثاء للخنساء التي رثت أخويها معاوية وصخرا، وهناك قصيدة مالك بن الريب، والفرق بين مالك وبقية الشعراء في شعر الرثاء هو ان مالكا رثى نفسه حتى ان الروايات تعددت في شكل ونوع موته فمن قال ان افعى لدغته حين عودته من الحرب فأصيب بالحمى وأدرك ان منيته قد اقتربت وكتب القصيدة في ذلك الوقت. [36] في اول بيت ليائيته، يعبّر مالك عن اشتياقه وحنينه الى اهله ووطنه ويتمنى العودة إليهم ليبدأ قصيدته ب"الا ليت شعري"

- [35] روائع الشعر العربي، هاشم صالح المناع ص ٢٤
- [36] The Arab's : Aesthetic Dying Heroic Encounter with Death, Canadian , Nayef Ali. Al-Joulan 2010, p 33 Social Science,

[37]وهي جملة تمني تبدأ بحرف استفتاح ليكون اول حرف في القصيدة هو الالف الذي هو اول الحروف. " بهذا التمني الجريح يفتتح الشاعر قصة مرثيته الخالدة، فهو يتمنى امنية عزيزة المنال، لا يجد أمامها الاّ ان يجتّر مأساته الرهيبة"[38]

مرّ الشاعر في حياته بتجارب عدة مختلفة من حيث البيئة ومن حيث طبيعة العمل والسلوك والفكر ووضعه مع الآخر ان كان رفيقا، او عدوا، او سلطانا، او قريبا. انتقل بالشاعر المطاف من الصعلكة الجاهلية الى مقاتل في الجيش الاسلامي بعد فراق طويل وغربة مفروضة حيث اقتاده الحنين الى لقاء الاهل ليموت في الطريق غريبا بعيدا عن الأحبة. يرثي مالك في يائيته نفسَه نيابة عن الاهل والأحبة ويتمنى لو كانوا جنبه لتُسجل في تاريخ الادب مرثية تفيض منها اللوعة والحزن والشجاعة والفخر في آن واحد. يتذكر مالك من يبكي عليه في لحظاته الأخيرة الا انه لا يجد سوى سيفه والرمح الرديني ليضع فتوته نصب عينه حتى وهو ينازع الموت.

تعكس هذه القصيدة صورةً من الادب العربي في العصر الاموي والتغييرات التي طرأت عليه في اللغة والمفاهيم والصور وان كان مالك فيه مخضرما يحمل الحقبتين في الفعل والشعر: الجاهلية والإسلامية، ليتميز عن غيره من الشعراء في إضفاء الصبغة الفنية على اشعاره

- [37] رثاء النفس بين مالك بن الريب وعبد المعين ملوحي، دراسة أسلوبية تناصية، وليد السراقبي، مجلة التراث العربي، تاريخ الإصدار ١ يوليو ٢٠١٢
- [38] سردية الشعر القديم، مرثية مالك بن الريب التميمي انموذجا، جربوع سعدة، جامعة برج بوعريريج ص ٦

التي ورثها من بيئته التي لم تطرأ عليها تغييرات جذرية بعد، وهو يعيش في حقبة مختلفة شكلا ومضمونا، اثّرت على الشعر وتبدّل الخطاب فيها وراء مجيء الإسلام وحضور القرآن.[39] سيتناول هذا البحث قصيدة مالك من الجوانب الفنية المختلفة ويستشهد بما كتبه وتداولوه في نمط من الشعر العربي القديم واسلوبا منه في التعبير عن خلجات النفس الإنسانية في اعزّ اللحظات وهي تودّع الحياة ذاهبة الى عالم آخر، مُخلّفة آلامها وآمالها تتردد بين ابيات قصيدة صورا ومفاهيم وعبرات.

المفارقة، شاعر جاهلي في العهد الإسلامي

كان للفتوح الإسلامية الأثر الكبير في الاثراء وانتشار البذخ والترف في مكة والمدينة ودمشق وصار الشعراء يذهبون الى الامراء يمدحونهم ليحصلوا على العطايا. في الجانب الآخر كانت قبائل أخرى تعاني من الفقر والجوع وهي تقارن نفسها بالأثرياء الذين يكدسون الذهب والفضة فيشكون التوزيع السيء هذا. " وكانت أكثر المناطق التي يغيرون عليها الخصب، وكانوا يرصدون القوافل التجارية وقوافل الحجاج القاصدة الى مكة."[40] "وهنا ارتفع صوت المال في القصيدة الاموية، واحتل جوانب غير قليلة منها، فقد كان أساسيا في حياة الناس، فطبيعي ان يكون أساسيا في فنّهم وشعرهم."[41] كان مالك شابا شجاعا فاتكا، لا ينام الليل الا متوشحا سيفه، ولكّنه استغل قوته في قطع

- [39] سيميائية الموت في رثاء النفس، مالك بن الريب انموذجا، خديجة مواسة، جامعة البواقي، ص ١٣٢ – ١٩٣
- [40] تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ص ٣٧٦
- [41] التطور والتجديد في الشعر الاموي، شوقي ضيف، ص ١٢٣

الطريق، وفي يوم مر عليه سعيد بن عثمان بن عفان- حفيد الصحابي عثمان بن عفان- وهو متوّجه لإخماد فتنة في تمّرد بارض خراسان،

ولما رآه اعجبه وقد كان من اجمل الناس

وجها، واحسنهم ثيابا، فأقنعه بالجهاد في سبيل الله بدلا من قطع الطريق، فاستجاب مالك لنصح سعيد وذهب معه، وابلى بلاء حسنا وحسنت سيرته، وفي عودته بعد الغزو وبينما هم في طريق العودة الى وادي الغضا في نجد وهو مسكن اهله، لسعته أفعى وهو في القيلولة، فسرى السم في عروقه واحس بالموت فقال قصيدة يرثي فيها نفسه، وصارت تعرف ببكائية مالك بن الريب التميمي، وتوفي سنة (60ه/ 680م) في مرو، وهي مدينة في الاتحاد السوفياتي واسمها ماري[42] .

"هو من بني مازن التميميين، ومولده ومرباه في بادية تميم بالبصرة. وشبّ على ما ينشأ عليه البدو والاعراب من الصرامة والشهامة والجد والعبوس والنبل واباء الضيم."[43] تُقسّم حياة مالك الى جزئين وهما عهد التصعلك والتلصص وهو عهد شقاء ومغامرة محفوف بالأخطار حيث اتخذ مالك ورفاقه من بني عشيرته الغارة على القوافل ونهبها سبيلا لتخفيف ثقل أعباء الحياة فهو ورفاقه كانوا يرون ان الامراء والحكام لم ينصفوهم. " وكانت عصابته من بني تميم أمثال ابي حردبة المازني وغويث وشظاظ الظبي، الى غيرهم من التميميين الذين كانوا يؤلفون صعاليك هذه العصابة الرهيبة الفاتكة والذين اخذوا

- [42] هاشم صالح منّاع: روائع من الأدب العربي، ص ١٢٢
- [43] الصعاليك في العصر الاموي، اخبارهم واشعارهم، محمد رضا مروة، دار المعارف، ص ١٣٨

يتربصون بالناس في القصيم وبطن فلج ويرعبونهم ويغتصبون منهم كل ما يملكون."
[44] وقع مالك بن الريب بقبضة عامل مروان بن الحكم عامل المدينة، حارث بن حاطب الجمحي، فاستطاع مالك ورفاقه التخلص من الجند وشُدّد عليهم كثيرا فهرب الى خراسان. استتابه سعيد بن عثمان في خراسان سنة ست وخمسين للهجرة واشترك معه في الفتوح الإسلامية. وفي رجوعه الى اهله مرض مالك بموضع يقال له البسام واشتدت به العَلة ومات قبل ان يعود الى اهله. [45] يقول مالك بن الريب في مطلع يائيته:

- ألا ليتَ شعري هل أبيتنّ ليلةً
- بوادي الغَضَى أُزجي القلاصَ النواجيا
- فَليتَ الغضى لم يقطع َالركبُ عرْضَه وليت الغضى ماشى الرّكاب لياليا
- لقد كان في أهل َالغضى لو دنا الغضى
- مزارٌ ولكنّ الغضى ليس دانيا
- ألم ترَني بعتُ الضلالةَ بالهدى
- وأصبحتَُ في جيش ابن عفّانَ غازيا

بهذا التمني الجريح يفتتح الشاعر قصة مرثيته الخالدة، فهو يتمنى امنية عزيزة المنال، لا يجد امامها الا ان يجترّ مأساته الرهيبة، فالشاعر هنا من خلال هذه الأمنية يشعر ببعض الدفء عند ذكر الغضا، وهو نوع من الشجر ينبت في الرمل، وهو هنا رمز للبادية العربية التي كان يعيش فيها الشاعر بما فيها من اتساع وصفاء، يرددها الشاعر ست مرات في أربعة ابيات لتحقق له بعض الراحة النفسية وتطرد عنه الشعور بالوحدة، وفي نهاية هذه الابيات يبدأ في سرد قصته ويخبرنا كيف انّه باع الضلالة

- [44] ا الصعاليك في العصر الاموي، ص ١٣٩
- [45] الصعاليك في العصر الاموي، ص ١٤٠

بالهدى لمّا دعاه سعيد بن عثمان الى الجهاد، وكيف انّه قبل ذلك وانضمّ الى جيوشه.[46] "وقد رسم مالك من خلال يائيته الجوانب البارزة التي اتصف بها، من ثبات في المعركة إذا ادبرت الخيل، واستجابة الداعي إذا عزّ النصير، واطعام إذا أصبح الطعام محمودا، وعفة عن شتم ابن العم، وصبر على القرن في الوغى ومُثل أخرى وصفها ووضع ابعادها، وهي صور تُذكّرنا بحديث فرسان الشعراء الجاهليين أمثال عنترة وعامر بن الطفيل ودريد ابن الصمة:

- وقد كنتُ عطّافا إذا الخيل ادبرت. . سريعا الى الهيجا الى من دعانيا
- وقد كنت محمودا لدى الزاد والقرى
- وعن شتمي ابن العم والجار وانيا
- وقد كنتُ صبّارا على القرن في الوغى ثقيلا على الأعداء عضبا لسانيا[47]

"وبالرغم اننا لا نجد رأيا واضحا للخليل في مناسبة الوزن لموضوع القصيدة، الا ما رواه الاخفش عنه في علّة تسمية البحور، الا ان الذين جاؤوا بعده ربطوا بين موضوع القصيدة ووزنها، واقتنعوا بأن الاوزان تتفاوت في قدرتها على التعبير عن الموضوع، فوجّهوا الشاعر الى الطريقة التي ينتهجها في نظمه"[48] لا يختار الشاعر البحر والقافية ليوظفها في الموضوع، بل هي تأتي بنفسها من أعماق حسه

- [46] سردية الشعر القديم/ مرثية مالك بن الريب التميمي انموذجا، جربوع سعيدة، جامعة برج بوعريريج، كلية الاداب واللغات، قسم اللغة والادب العربي، ٢٠١٦، ص ٦
- [47] ديوان مالك بن الريب، حياته وشعره، تحقيق نوري حمودي القيسي ص ٥٦
- [48] سمات الأسلوب في مرثية مالك بن الريب، محمد بن يحيى، جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠٠٩ ص ٤٦

وشعوره فتتبلور نصا فنيا، وهكذا جاءت يائية مالك، وان كان البحر الطويل كثيرا ما أُستخدم في الرثاء، وهذا الرأي يخالف ما تقول فوزية القرني في الاسلوبية: يائية ابن الريب انموذجا، [49] كما ان من ينازعه الموت لا يفكر في اختيار البحور والقوافي وهو يريد ان يعبّر عن وجع ولوعة لأهله واخلته، لذلك ذهبت الباحثة بعيدا في ربطها القبض في الوزن العروضي وقبض الروح الذي أحاط بمالك. [50] وكثيرا ما يكثف مالك بن الريب تكرار صوت واحد في البيت فيأتي هذا التكرار بمثابة نقرة تتبع أخرى على وتر واحد، فيتميّز الرنين، ويقوى باعث الايقاظ والتأثير ومن ذلك قوله:

- ولكن بأكناف السمينة نسوة
- عزيز عليهن العشية ما بيا

فقد تكرر صوت النون في هذا البيت ثماني مرات منها في صورة نون مفردة: لكن — اكناف — السمينة– نسوة. ومرتين في صورة نون مضعفة، عليهن، ومرتين في صورة التنوين في: نسوة عزيز. [51] "كما نلحظ ان خمسة ابيات متتالية في قصيدة قد سلمت تفعيلاتها من القبض جائز، ويتعلق الامر بالأبيات: ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥و ٢٦.

- ٢٢ولا تحسداني باركَ اللهُ فيكما من الأرض ذات العرض أن تُوسعا ليا
- ٢٣خذاني فجرّاني بثوبي إليكما
- فقد كنتُ قبل اليوم صَعْبًا قِياديا

- [49] الاسلوبية: يائية ابن الريب انموذجا، فوزية بنت سعد محمد القرني، جامعة الازهر، ٢٠١٩، ص ١٢
- [50] فوزية القرني ص ١٤
- [51] فوزية القرني ص ٢٣

- ٢٤وقد كنتُ عطّافًا إذا الخيلُ أدبَرتْ
- سريعًا لدى الهيجا إلى مَنْ دعانيا
- ٢٥وقد كنت محمودا لدى الزاد والقرى
- وعن شتم ابنِ العمّ والجار وانيا
- ٢٦وقد كنتُ صبّاراً على القرْن في الوغى
- ثقيلا على الأعداء عصبا لسَانيَا

ولعل اوّل ما يلفت انتباهنا أنّ هذه الابيات وعلاقتها بسلامة تفعيلاتها من الزحاف، فإننا نجد في البيت الثاني والعشرين الشاعرَ الفارسَ المحتضر يطلبُ من صاحبيه انْ يوسّعا قبره ولا يضيّقاه، فمجيء البيت سالما من الزحاف يتناسب مع هذا المعنى، اذْ انّ القبض انقاصٌ، وهو يطلب التوسيع. ومجيء التفعيلات تامةً في البيت الثالث والعشرين يتوافق مع صورة الجرِّ من الثياب، فكأنما تمام التفعيلات تُصوّرُ عملية الجرّ التي تستغرق مسافة طويلة. امّا في الابيات الرابع والعشرين والخامس والعشرين والسادس والعشرين فإنّ الشاعر يذكرُ مناقبه، فالشجاعة وعفّة النفس وفصاحة اللسان، كلها صفات الرجولة الكاملة، فكان لابد ان تحتويها تفعيلات تامة لا ناقصة". [52]

رثاء النفس في صور شعرية مختلفة

تغيّرت بعض مواضيع الشعر في العصر الاموي متأثرا بمجيء الإسلام الا ان بناء القصيدة لم يتغيّر وبقي كما كان في عصر ما قبل الإسلام." وفي الرثاء امتزج الحزن بالحماسة والقوة، وزاوج الشعراء بين حب المرأة وحب الصحراء."[53] "فالرثاء يقوم على خصيصة واحدة الا وهي مدح الميت بعد موته، وتعداد

- [52] سمات الأسلوب في مرثية مالك بن الريب، محمد بن يحيى ص ٥٨-٥٩
- [53] الادب الاموي، صباح نوري المرزوك، الطبعة الأولى، ٢٠١٥، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ص ١٥

مناقبه وخصاله الحميدة وصفاته النبيلة ومدى انعكاسهما على المجتمع، بوصفه الشخصية المثالية، . . . وكان لدرجة القرابة بين الراثي والمرثي أثر في قوة ذلك الشعر من حيث صدق العاطفة والشعور فكلما دنت القرابة بين الشاعر والميت ازداد الرثاء حسرةً وتفجعّا". [54] "
لقد تمّ الإحساس بالموت أولا باعتباره انقطاعا مباغتا لمصير باهر بصدد الاكتمال ولاعتباره فراقا موجعا يقضي على الاحياء بالألم وعلى الميت بالعزلة: هذان المعنيان يمثلان المعنيين الشعريين المحوريين في كل مراثي الأموات". [55]
يتمنى مالك في مطلع القصيدة ان يكون في ديار قبيلته ويبات ليله هناك ومباشرة في البيت الثاني يعبّر عن ندمه لأنه لا يستطيع فعل ذلك، فيتذكر الحياة الجميلة هناك، فبالرغم من انّه صار غازيا في جيش سعيد بن عثمان وسار على الدرب السوي في تركه الصعلكة وهي مذمومة، الا انّ هذا التغيير الإيجابي لا يشفع لديه نأيه عن اهله وزوجته وبنته والموت غريبا في ارض نائية، وهنا دلالة على حب الانسان للأرض حتى وراء الموت والفناء، فإنها الام التي يسكن الانسان في احضانها حيا كان ام ميتا. "نجد الشاعر في هذا التركيب قد وظّف عبارة - ليت شعري - التي تدل على التمني، وهنا الشاعر يطلب امرا لا يرجى حصوله لكونه غير مطموع في نيله، وذلك لمرض الشاعر وبعد دياره فلا يمكنهم العودة به ليحقق ما يريده." [56]

- [54] المثالية في شعر الرثاء الجاهلي" دراسة وتحليل" صدام علي صالح حمادي، نصرة احميد جدوع الزبيدي، ص ٢،
- مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، ٢/ ١٢/ ٢٠١٨
- [55] الموت في الشعر العربي، محمد عبد السلام ص ٦٤
- [56] مرثية مالك بن الريب، مقارنة تداولية، حنا شبيكي ص ١١

وأشار مالك الى ابنته في أكثر من موضع، وصوّر تعلّقها بصور عاطفية دقيقة، تنمّ عن الرقة التي تملكته، وهو يعرف مشقّة الطريق، ومتاعب المخاطرة، ومرارة اليتم التي كان يحسّ بها قبل ابنته، ويستطعم اذاه قبل ان تتذوقه ابنته، فعندما خرج مع سعيد تعلقت بثوبه، وبكت وقالت له: أخشى ان يطول سفرك او يحول الموت بيننا فلا نلتقي.[57]

تقولُ ابنتي لّما رأتْ طولَ رحلتي
سِفارُكَ هذا تاركي لا أبا ليا

وفي يأسه من حضور الاهل والاقرباء جنازته يوصي مالك صاحبَيه بالبكاء عليه لأنه أدرك حينها انه ميت لا محالة ولن يحظى بلقاء الاهل والأحبة، وهذه الصورة الفنية ساعدت في انتشار القصيدة وتداولها بين العرب جيلا بعد جيل، لانّ الحادثة ذاتها تتكرر للناس وتخوض التجربة نفسها مع الفرق ان مالكا مات غريبا وكانت لديه القريحة التي استطاعت ان تعبّر عن الوضعية وتحيطها فانعكست على الانفُس وراقت لها وعاشتها مرة أخرى كما عاشها الشاعر نفسه.

- ولمّا تراءتْ عند مَرو منيتي
- وخلّ بها جسمي، ًوحانتْ وفاتيا
- أقول لأصحابي ارفعوني فإنّه
- يَقَرُّ بعينيْ أنْ (سُهَيْلٌ) بَدا لِيا

- https://www.researchgate.net/publication/341165759_mrthyt_malk_bn_alryb_mqarbt_tdawlyt
- [57] ديوان مالك بن الريب، حياته وشعره، تحقيق نوري حمودي القيسي ص ٥٨

- فيا صاحبَيْ رحلي دنا الموتُ فانزلا
  برابيةٍ إنّي مقيمٌ لياليا

"ويهيمن على المشهد ضمير المتكلم في السرد معادلا نفسيا وموضوعيا للذات الكليمة التي تنظر الأشياء نظرة وداع حيث ظهرت وظيفة الرؤية البصرية في ملاحظة العالم الموضوعي بالعين الباصرة التي يريد الشاعر بها ان يحتفظ بمنظر يمتلك رمزا تأمليّا – تأويليا يكمن في نجم [سهيل]، وكأن الوعي الشعري يتجسد بالعلو المعنوي، وكأنّ الخير مقرون بالسماء دائما، لذلك رغب الشاعر في ان ينزل به [صاحباه] برابية ترتفع عن الأرض البسيطة متناسيا او متجاوزا [القفرة] التي تستوي ولا تتميز عمّا سواها مما يحيط بها".[58] " لقد كان الشعراء الاولون يندبون اطلال الأحبة ويذرفون عند وقوفهم عليها الدموع الغزار فَرَقا على رحيل احبتهم عنها، ولكن ما جدّ في شعر الفتوح – وقصيدة مالك خير ممثل له – ان المرتحل قد تغيّر، فلم يعد الاهل هم المرتحلين، ولكن الشاعر هو الذي غادر الديار منخرطا في جيش الفتح ."[59]

- [58] مرثية مالك بن الريب، شريف بشير احمد، مجلة المعرفة رقم العدد ٤٠٩، تاريخ الإصدار ١ أكتوبر ١٩٩٧، ص ١٦٨-١٦٩، موقع الشارخ
- [59] رثاء النفس بين مالك بن الريب وعبد المعين ملوحي [دراسة اسلوبية تناصية} وليد السراقبي ، مجلة التراث العربي، وليد السراقبي، رقم العدد ١٢٧، تاريخ الإصدار ١ يوليو ٢٠١٢، ص ١١٢

تناغم الموسيقى والقافية والوجع، والجدل في ذلك

والقصيدة من البحر الطويل وهو بحر يسيطر على عدد كبير من قصائد الرثاء، وهي قصائد تتجه الى القوافي المطلقة، وكان هذا المد الصوتي لحرف الروي يمنح النفس فرصة التعبير الصوتي عن احساسها بألم الفقد او توقعه، إن استخدام حرف الروي الياء يليه الوصل، الالف المطلقة، كما هو الامر في قصيدة مالك بن الريب، يجعل الصوت الممتد يمنح فرصة اخراج زفرات الكآبة والالم بشكل قوي، مع قراءة كل بيت من ابيات القصيدة ولهذا السبب نجد ان هذه القصيدة تلتقي مع قصائد رثائية كثيرة لشعراء مختلفين. [60]

وهناك من قال ان القصيدة قد تعرضت للإضافات حسب اهواء ذي الحس الشعري والدليل في ذلك ان ابياتا لا تناسب وحدة القصيدة في سياقها وموضوعها او تكون هناك طلبات يُستحيل تلبيتها من جانب الشاعر يخاطب اهله في تنفيذها له. "فمن ذلك ما نسب اليه من قوله مخاطبا زوجته ام مالك:

- إذا متّ فاعتادي القبور فسلمي
- على الرمس اسقيت السحابا الغواديا
- رهينة احجار وترب تضمن قراراتها مني العظام البواليا

فالميت المدفون بخراسان، غريب لا يعلم عنه أحد شيئا، فكيف يجوز ان تأتي زوجته من بادية بني تميم في الجزيرة العربية الى قبره لتُسلّم

- [60] ثنائية النص، قراءة في رثائية مالك بن الريب، عبد العزيز السبيل، عالم الفكر، رقم العدد ١، تاريخ الإصدار ١ يوليو ١٩٩٨

عليه وكيف يأمرها بالمستحيل؟"[61] "ولقد تعددت روايات هذه القصيدة اختلافا وزيادة ونقصا، حتى لنجد للواحدة في البيت أكثر من ثلاث روايات، ومعظم ابيات القصيدة مما اختلف في روايتها، حيث بلغت الابيات المختلف فيها، ستة وأربعين بيتا من أصل ستة وستين بيتا."[62] وقال مؤرخونَ انّ القصيدة كانت في الأصل ثلاثة عشر بيتا والبقية منها ولّده الناس عليه،[63] ويبدو ان اختلاطا وقع بين قصيدة عبد يغوث بن وقاص الحارثي، وافنون التغلبي، وجعفر بن علبة الحارثي، وقصيدة مالك، لتشابه هذه القصائد في الوزن والقافية والغرض وتضارعها في بعض المعاني والصور والأفكار، وربما اوحت هذه الأمور الى الذين شكّوا في بعض ابياتها، معتقدين انّ نحلا او تداخلا وقع في بعض الابيات، فذهبوا هذا المذهب.[64]

"وقد اختلف القدماء في سبب وفاته، فمنهم من قال انه طُعن وهو يغزو بخراسان طعنة أودت بحياته ومنهم من ذهب الى انه قال قصيدته اليائية قبل وفاته تلك التي تبلغ ثمانية وخمسين بيتا، والتي يرى ابوعبيدة معمر بن المثنى ان الذي قاله منها ثلاثة عشر بيتا، واما سائرها فمتحول عليه، وسواء استشهد في الفتح او مات بالمرض فالذي لا شك فيه ان الاجل لم يمتدّ به الى ما بعد سنة ثمان وخمسن للهجرة."

- [61] مالك بن الريب التميمي يرثي نفسه، محمد رجب البيومي، مجلة جذور، رقم العدد ١٩، تاريخ الإصدار ١ مارس ٢٠٠٥، ص ٣٠٨
- [62] قصيدة مالك بن الريب المازني في رثاء نفسه بين الصحة والنحل، محمد ماجد محمود الحمد، مجلة عالم الكتب، رقم ٢، تاريخ الإصدار ١ يناير ١٩٩٨، جامعة الملك سعود، الرياض
- [63] ا ديوان مالك بن الريب، حياته وشعره، تحقيق نوري حمودي القيسي نقلا عن الاصفهاني ص٦٤
- [64] ديوان مالك بن الريب، حياته وشعره، تحقيق نوري حمودي القيسي ص ٦٤

[65]ويشكك الباحثون فيمن يكون الذي روى عن مالك قصيدته وفي التشابه بين يائية ابن الريب واشعار لآخرين، الامر الذي يجعلهم يقولون بالنحل والتوليد لجزء من ابياتها وقبول جزء آخر منها ممكن تصديقه من خلال المقارنة والخطاب ووصف الأمكنة. [66]

خلاصة واستنتاج

معلوم ان للشاعر مالك بن الريب مكانة مرموقة في الادب العربي من قديم الأيام الى العصر الحديث الذي ظهرت أهميته في الإخراج السينمائي والموسيقى حيث ان مسلسلا أنتج وبُث لمالك بن الريب وان الفنان خالد الشيخ غنى رثائية ابن الريب وان الكاتب يوسف الصائغ عنون روايته باسم هذا الشاعر، الامر الذي يدل على الأثر الفني والادبي الخالد الذي تركه ابن الريب في نفوس العرب وفي الوجدان والاحساس لديهم وان مرور السنين لم تؤثر على تداول هذه القصيدة والتعمق بمعانيها ومفاهيمها، الى جانب الدراسات والبحوث التي تناولتها من زوايا عدة.

والشاعر مالك ابن الريب من خصوصياته انه ورث الصعلكة فعلا وقولا من العهد السابق للإسلام، فبينما تغيّرت المفاهيم من حقبة الى أخرى الا انه شاهد انه وقومه مهمشين لم يحصلوا بما يليق بهم من مكانة ومال لذلك مارس مهنة كانت تخص العصر الجاهلي وهذه بذاتها مفارقة. والامر الذي يشد الذهن في

- [65] مالك بن الريب، حسين عطوان، مجلة العربي العدد ١٣٩، تاريخ الإصدار ١ يونيو ١٩٧٠، ص ٩٧
- [66] قصيدة مالك بن الريب المازني في رثاء نفسه بين الصحة والنحل، محمد ماجد محمود الحمد، مجلة عالم الكتب رقم العدد ٢

سيرة هذا الشاعر هو انه يرسو على ساحل البرّ والخير ويوظف مهاراته في الحرب والسطو والمباغتة في خدمة الدولة الاموية التي كانت تتوسع وتتمدد في الشرق. فإنه بقي في جادة الحرب يسير الا ان الطرق قد اختلفت من ترهيب وسرقة وقتل الى جهاد في سبيل آمن بقيمه وهكذا كانت القفلة في سيناريو حياته نافعة وموزونة في تحوله من السيء الى الجميل، في الاعتبارات الاجتماعية والدينية التي يكيل بها عصره وزمانه وهي قائمة الى اليوم.

وان يائية مالك بن الريب لو كانت مجرد رثاء ونعي لفقدت بريقها ورونقها عبر السنين، لكنّ الذي خلّدها هو انعكاس صور الشعور الصادق للإنسان وهو يودّع الحياة التي لديه فيها أشياء يحبها، وهذا التعلّق والحبّ، ماديا كان ام معنويا، تشعر به الانفس وهي تقرأ ابيات مالك فتلمس فيها ذواتها تطلعا وطموحا وجلدة وقبولا بالواقع الا وهو الموت الذي لا مفر منه. يُعرّف مالك نفسه لنفسه وللآخر في الابيات التي ما يقرأها قارئ الا ويلمس الانفة والعزة في قائلها وكيف انّه صُنع للميدان والاسنة وللشعر والخيال ليُجسد صورة الشاعر العربي والفرس المغوار الذي يكرّم ذاته وهو في وضع الضعف والاستكانة وهو الموت.

- وخُطّا بأطراف الأسنّة مضجَعي
- ورُدّا على عينيّ فَضْلَ ردائيا
- ولا تحسداني باركَ اللهُ فيكما . .
من الأرض ذات العرض أن تُوسعا ليا
- خذاني فجرّاني بثوبي إليكما
- فقد كنتُ قبل اليوم صَعْبًا قِياديا

"بعد ان انتهى الشاعر من ذكر مآثره في لوحة الفخر انعطف ثانية الى مخاطبة صاحبيه ليعلنا موته لأحبته وأهله، وكيف انه

مات غريبا في تلك الديار ، ثم صور بعد ذلك في محاورة متخيلة رغبة محبيه في عدم الابتعاد وهو يجيب عن تلك الرغبة بان المكان الذي سيدفن فيه هو البعد بعينه ، فضلا عن ان الموت الذي جسده بالدفن يعد خير صورة مثلت البعد عن الحياة نفسها ."[67] هكذا وثّق مالك بالشعر ما احاط به من احاسيس وصور للرغبة بلقاء الاحبة والموت الذي يحول دون ذلك فيذكر نفسه والآخر بأن هذه الحادثة لم تمسّ فروسيته وبطولته بشيء فالذي ينعيه هو سيفه وحصانه .

المصادر:

1. أثر الصوت اللغوي في التواصل ، دراسة في يائية مالك بن الريب م . د ادريس سليمان مصطفى وم . د مسعود سليمان مصطفى ، مجلة آداب الرافدين ، العدد الثاني والسبعون ، السنة : الثامنة والاربعون ، ، الموصل ، ٢٠١٨
2. الادب الاموي ، صباح نوري المرزوك ، الطبعة الأولى ، جامعة بابل ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، ٢٠١٥
3. الاسلوبية : يائية ابن الريب انموذجا ، فوزية بنت سعد محمد القرني ، جامعة الازهر ، ٢٠١٩ ،
4. تاريخ الادب العربي ، العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، الطبعة الحادية عشرة ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠

- [67] أثر الصوت اللغوي في التواصل ، دراسة في يائية مالك بن الريب م . د ادريس سليمان مصطفى وم . د مسعود سليمان مصطفى ص ٢٤٩

5. التطور والتجديد في الشعر الاموي، شوقي ضيف، الطبعة الثامنة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩
6. ثنائية النص، قراءة في رثائية مالك بن الريب، عبد العزيز السبيل، عالم الفكر، رقم العدد ١، تاريخ الإصدار ١ يوليو ١٩٩٨
7. ديوان مالك بن الريب حياته وشعره، الدكتور نوري حمودي القيسي، الناشر: معهد المخطوطات العربية
8. رثاء النفس بين مالك بن الريب وعبد المعين ملوحي، دراسة أسلوبية تناصية، وليد السراقبي، مجلة التراث العربي، تاريخ الإصدار ١ يوليو ٢٠١٢
9. رثاء النفس في الشعر الاندلسي، الدكتور مقداد رحيم، جهينة للنشر والتوزيع، ٢٠١٢
10. روائع الشعر العربي، هاشم صالح المناع، دار الوسام بيروت، دار ومكتبة الهلال بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩١
11. سردية الشعر القديم/ مرثية مالك بن الريب التميمي انموذجا، جربوع سعيدة، جامعة برج بوعريريج، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والادب العربي، ٢٠١٦
12. سمات الأسلوب في مرثية مالك بن الريب، محمد بن يحيى، اشراف الدكتور محمد خان، جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠٠٨
13. سيمائية الموت في رثاء النفس، مالك بن الريب انموذجا، خديجة مواسة، اشراف الدكتور: العلمي الراوي، جامعة البواقي، ٢٠١٢
14. الصعاليك في العصر الاموي، اخبارهم واشعارهم، محمد رضا مروة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٠
15. قصيدة مالك بن الريب المازني في رثاء نفسه بين الصحة والنحل، محمد ماجد محمود الحمد، مجلة عالم الكتب، رقم ٢،

جامعة الملك سعود، الرياض ، اريخ الإصدار ١ يناير ١٩٩٨ ،

16. مالك بن الريب، حسين عطوان، مجلة العربي العدد ١٣٩ ، تاريخ الإصدار ١ يونيو ١٩٧٠
17. مالك بن الريب التميمي يرثي نفسه، محمد رجب البيومي ، مجلة جذور، رقم العدد ١٩ ، تاريخ الإصدار ١ مارس ٢٠٠٥
18. المثالية في شعر الرثاء الجاهلي" دراسة وتحليل" صدام علي صالح حمادي، نصرة احميد جدوع الزبيدي، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، ٢/ ١٢/ ٢٠١٨
19. مرثية مالك بن الريب، مقارنة تداولية، حنا شبيكي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر، ، May 2020
20. مرثية مالك بن الريب، شريف بشير احمد، مجلة المعرفة رقم العدد ٤٠٩ ، تاريخ الإصدار ١ أكتوبر ١٩٩٧، ص ١٦٨–١٦٩ ، موقع الشارخ

The Arab's Heroic : " Aesthetic Dying Encounter with Death, Nayef Ali. Al-Joulan
Vol. 6, No. 6, 2010, pp. 31-44 Canadian Social Science,

القصيدة :

مِنْ رَوائع الشِّعْرِ القَديم

مالك بن الريب التميمي : يرثى نفسه !

■ نشأ فى بادية البصرة نشأة غيره من الشعراء الصعاليك الذين اشتهروا بالتمرد على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى عصرهم ، فلجأوا الى الفزو والفتك وقطع الطريق ليحققوا لانفسهم ولاخوانهم المستضعفين حياة كريمة ، وليثأروا فى الوقت نفسه من المجتمع الذى ظلمهم . فلما عُيِّن سعيد بن عثمان ابن عفان واليا على خراسان من قِبَل معاوية ، دعا مالكا الى صحبته بعد أن اخذ عليه عهدا بالتوبة ، فصحبه ، وفيماهم فى الطريق أناخوا بعض الوقت للقيلولة ، فلما هموا بالرحيل أراد مالك ان يلبس خفه فاذا بداخله افعى لدغته لدغة أحسَّ بعدها بالموت الذى لا شك فيه ، فراح يرثى نفسه بقصيدة من أروع ما حفل به التراث العربى من شعر القدماء والمحدثين على السواء .

ومن طريف ما نذكره هنا انه لما قتل « سير جون مور » عام ١٨٠٩ فى حرب اسبانيا ضد نابليون ، رثاه احدالشعراء الانجليز بقصيدة وصف فيها مصرعه ، وكيف حفر له جنوده قبره باطراف الأسنة ، وهو ما سبقه اليه مالك بن الريب باكثر من الف سنة بقوله فى احد ابيات قصيدته الخالدة :

وَخطّا بأطْرافِ الأسِنّةِ مَضْجَعي ... وَرُدّا عَلى عَيْنَيّ فَضل رِدائِيا !

وفيما يلى ما يتسع المقام لنشره من هذه القصيدة :

ألاَ ليت شِعْرى هل أبيتَنَّ ليْلةً ... بِجَنْبِ الغَضَى أزْجي القِلاص١ النَّواجِيَا

فَليْتَ الغضى ٢لم يقطعِ الرّكبُ عرضه ... وَليْتَ الغَضى ماشى الرّكاب لَيَالِيَا

لقدكان في أهل الغضى ،لو دنا الغضى ، ... مزارٌ ، ولكنّ الغضى ليس دانيا

دعانى الهوَى من أهلِ وُدِّى وَصُحبتي ... بِذى الطَّبَسَين فالتفتّ وَرائِيا

ألمْ ترَنى بِعْتُ الضَّلالةَ بالهدى ... وأصْبحْتُ فى جَيْشِ ابن عفّان غازِيا

فَلِلّه دَرّى يومَ أترُكُ طائِعاً ... بَنِىَّ بأعلى الرَّقمتَين وماليا

وَدَرّ كَبيرِيَّ اللّذَينَ كِلاهُما ... عليَّ شَفيقٌ ناصحٌ قد نهانِيا

ودرُّ الظّباء السانحاتِ عَشيّةً ... يُخَبّرْنَ أنِّى هالكٌ مَن وَرائِيا

وَلمّا تراءَتْ عند مَرْوَ مَنيّتى ... وخلّ بها جِسْمِى وحانَتْ وَفاتيا

تفقدت مَن يبكى علىَّ فلَم أجِد ... سوى السيفِ والرُّمح الرُّدَيْنِىّ٣ باكيا

وأشقرَ خِنْذيذ ٤ يجرُّ عنانه ... إلى الماء لم يَترُكْ لَه الدّهْرُ سَاقِيا

ولكِنْ بأطرافِ السُّمَيْنة ٥ نِسْوةٌ ... عزيزٌ عليهنَّ العشيّةَ ما بِيا

صريعٌ على أيدى الرِّجالِ بقفرة ... يُسَوُّونَ قبْرى حَيْثُ حُمَّ قضائيا

أقولُ لأصحابى ارفعُونى لأنّنِي ... يقَرّ لعينى أنْ سُهَيْلٌ بدا ليا

فياصاحِبَىْ رحْلِى دنا الموْتُ فانْزِلا ... برابيةٍ ، إنّى مقيمٌ لياليا

أقيما علىَّ اليومَ أو بعضَ ليلة ... ولا تعْجلانى ، قد تبَيّن ما بِيا

وقُوما إذا ماستُلَّ روحِى وهيِّئا ... لِيَ السِّدْرَ والأكفانَ ثم ابكيا ليا

وَخُطّا بأطْرافِ الأسنّة مَضْجعِى ... وَرُدّا على عينَىَّ فضْلَ رِدائِيا

وَلا تحْسُدانى — بَارك الله فيكما — ... منَ الأرضِ ذاتِ العرْضِ أن تُوسِعاليا

خُذانِى فجُرّانى ببُرْدِى إليْكُما ... فقد كنتُ قبلَ اليوْمِ صعْباً قِيَادِيا

وقد كنتُ عطّافاً إذا الخيلُ أدْبرتْ ... سَرِيعاً إلى الهَيْجا ، إلى مَن دعانِيا

وقد كنتُ محموداً لدى الزّادِ والقِرَى ... وعَنْ شَتْمِى ابنَ العَمِّ والجارَ وَانِيا

وقد كنتُ صبّارا على القِرْنِ في الوَغى ... ثقيلاً على الأعداءِ عضباً لسانِيا

وقُوما على بِئْرِ الشُّبَيْكِ ٦ وَأسْمِعا ... بها الوَحْشَ والبيضَ الحِسانَ الرَّوانيا

بأنكُما خلّفْتُمانِى بقفرةٍ ... تَهِيلُ علىَّ الريحُ فيها السّوافِيا

ولا تَنْسَيا عهدى خليلَىَّ بعْدَما ... تَقَطّعُ أوصالى وتبلَى عِظامِيا

يقولُونَ : « لا تبعَدْ » ! ٧ وهُم يدفنُونَنى ... وأينَ مكانُ البعد إلاَّ مكانِيا

غداةَ غدٍ ، يالهْفَ نفسى على غدٍ ... إذا أدْلَجُوا عنّى وخُلِّفْتُ ثاوِيا

وأصْبحَ مالى من طَرِيفٍ وتالدٍ ... لِغيرِى ، وكانَ المالُ بالأمسِ مالِيا

أقلّبُ طَرْفِى فوقَ رَحْلِى فلا أرَى ... به من عُيُونِ المؤنِسَاتِ مُراعِيا

وبالرّمْلِ منّا نِسْوةٌ لو شَهِدْنَنِى ... بَكَيْنَ وفدَّيْنَ الطّبيبَ المُداوِيا

فَمِنهُنَّ أُمّى وابنتاها وخالَتى ... وباكيةٌ أخرى تهيجُ البواكِيا

تقولُ إبنتِي لمّا رأتْ وَشْكَ رِحلَتِي ... سِفارُك هذا تارِكي لاَ أبَالِيا

فياليْتَ شعرى هل بكتْ أمُّ مالِكٍ ٨ ... كما كُنْتُ لو قالُوا نَعيّك باكيا

إذا مِتُّ فاعتادِى القُبُورَ فَسَلّمِى ... على الرّيمِ أُسقيتِ الغَمامَ الغَوادِيا

تَرَىْ جدثاً قد جرّتِ الرِّيحُ فوقَه ... غُباراً كلَوْنِ القَسْطَلانِىّ ٩ هابِيا

رَهينةَ أحْجارٍ وتُرْبٍ تضمّنتْ ... قرارتُها مِنِى العِظامَ البَوالِيا

(١) القلاص : الاناث الشابة من الابل الطويلة القوائم .
(٢) الغضى : شجر وخشبه صلب وجمره يبقى زمنا لاينطفى .
(٣) الردينى : نسبة الى ردينه هى امرأة كانت تقوّم الرماح ثم أصبح اسمها علماً لها .
(٤) واشقر خنذيذ : أى فرس اشقر صلب طويل .
(٥) « السمينة » و (٦) « الشبَيْك » اسما مكانين .
(٧) لا تَبْعَدْ : عبارة كان من عادة العرب ان يقولوها عند دفن الميت .
(٨) أم مالك : زوجته .
(٩) القسطلانى : نسبة الى قسطلان وهو غبار الحرب .

/ أسئلة قصيرة

خصائص يتميز بهام الشعر العربي في العصر الجاهلي

من خصائص الشعر العربي الجاهلي انه اتصف بسلاسة الصورة الفنية والبداهة وتجنب التصنع. كان الشاعر لسان قومه ورايتهم واكتسب بهذا المعنى مكانة مرموقة وقُدّم الشعر على الخطابة للخصوصية التي كان الشاعر يختص بها في علوّ الشأن ورفعة المنزلة والدفاع عن القبيلة واعلاء صيتها. ومن اجل هذه المكانة المرموقة للشعر في العصر الجاهلي خُصص له سباق سنوي في سوق عكاظ يتنافس فيه الشعراء على كسب مقام البطولة فكانت تُكتب القصائد على أستار الكعبة ما عُرفت بالمعلقات السبع او العشر. ومن خصائصه انه كانت القصيدة في العصر هذا تبدأ بالبكاء على الاطلال والديار وأحيانا وصف الحبيبة والحصان والناقة والسيف ووراء ذلك ينتقل الشاعر الى موضوعه الرئيسي فخرا كان او هجاء، رثاء او غزلا. ومن خصائص الشعر الجاهلي الأخرى: الاستطراد، فالقصيدة تتنقل بين خواطر وآمال واحاسيس ما يفقدها موضوعيتها. صور الشاعر الجاهلي البيئة ومازج بين المرأة والطبيعة فكثر فيه التشبيه والاستعارة.

---

[68] مجلة البيان الكويتية، العدد ٢٢٩، تاريخ الإصدار ١ ابريل، ١٩٨٥ مالك بن الريب يرثي نفسه، دراسة فنية، محمد حسن عبدالله

تغيّر الموضوعات في الأدب في العصر الإسلامي والأموي

ببعثة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ونزول القرآن وقدسيته الخاصة وحفظه وتناقله بين العرب تراجعت أهمية الشعر وتغيرت الموضوعات فيه لان الدين الإسلامي جاء بالقيم الإنسانية التي تنفي العنصرية والتفاخر والتناحر لذلك وظّف الشعراء المسلمون الشعر في ترويج الدين والدفاع عن الرسول وهنا كثرت في الشعر الصور القرآنية. في العصر هذا ابتعد الشعراء عن الغلظة ورقّ الشعر في الصور والمعاني. انتقل الشعر في العصر الاموي الى جغرافيات جديدة الى العراق والشام وخراسان فظهر الشعر السياسي الحكومي والمعارض وكثر فيه الغزل والخمر والهجاء والمديح وتغلب عليه التصنع لأنه كان يقال طمعا في العطاء. كان بنو امية يقدرون الشعر وفيهم شعراء كبار مثل يزيد بن معاوية. في هذا العصر بدأت الشعوب المغلوبة تتعلم الشعر وتستخدمه كما يفعل أصحابه العرب.

عن الفنون النثرية في العصر العباسي

في العصر العباسي دخلت الفلسفة اليونانية وبدأت حركة التعريب والترجمة وشاعت النظريات الدينية والفلسفية والكلامية وصارت المناظرات متداولة في مجالس الخلفاء والامراء.
والى جانب فن الخطابة التي كان الحكم يرتكز عليها، كانت هناك كتابة الرسائل التي اُستخدمت في الديوان ومنها تلك الرسائل الاخوانية، وتداولت كتابة الوصايا، وهذه الفنون كانت تحتاج الى قدرة وكفاءة في اللغة العربية والعلوم الدينية، منها الفقه والحديث والكلام. ظهرت في هذا العصر طبقة الكتّاب وانتشر السجع في الكتب المترجمة من لغات أخرى مثل كليلة ودمنة لابن المقفع. من اهم الأسماء في النثر العباسي الجاحظ والتي فيه من الثقافات الأخرى فكان سلس الأسلوب عذب التعبير وعقلاني النزعة.

4

حكاية زهرة

حنان الشيخ

تحليل ادبي لقصة حكاية زهرة للكاتبة حنان الشيخ
ضمن المنهج العلمي في جامعة دالارنا السويدية

ناصر العوفي
January 2021

ابطال القصة

زهرة/ شخصية الانثى المركزية وهي شخصية منغلقة على نفسها منعزلة

فاطمة/ ام زهرة التي تلتقي بعشيقها وتخون إبراهيم

والد زهرة ، ابراهيم / الرجل المستبد الذي يضرب فاطمة زوجته ، ام زهرة

احمد/ شقيق زهرة الذي سارت الطريق به للإدمان

مالك/ المراوغ الذي بادل زهرة الحب وازال بكارتها واجهضت

هاشم / خال زهرة الذي كان عضوا في الحزب السوري الاجتماعي وعاش في المنفى واغتصب زهرة

ماجد / صديق خالها هاشم تزوجته زهرة وتطلقت منه

سامي/ القناص الذي قتل زهرة بعد ما حبلت منه

زمان الرواية:

أيام الحرب الداخلية اللبنانية في الستينيات والسبعينيات

مكان الرواية:

لبنان ، بيروت ، افريقيا

زهرة مُقتطفة

حكاية زهرة للكاتبة اللبنانية حنان الشيخ تعكس شكلا نمطيا في الحياة الشرقية تتخيّل في التناقضات الاجتماعية العربية ونزاع التراث والتحضر في العصر الحديث، وهذا النزاع انعكس على كُتّاب القصة والمسرح والشعراء والنُقّاد وصنّاع الأفلام على حد سواء وحاضر في الادب هو ونتائجه في التغييرات الثقافية والانتقالات الفجائية من حقبة لأخرى للمجتمعات العربية والأنظمة السياسية. وفي هذه الرواية تتحدث حنان الشيخ عن المحظور في المجتمع اللبناني والممنوع فيه بصورة خاصة والعربي بشكل اوسع، وتصور أسباب الخيانة والفساد وتربطها بالسلوك السائد والاحداث التي صنعت هذا السلوك.

الوضع السياسي اللبناني الخاص والتفكك الاجتماعي والصدام داخل البيت تصوّر في رواية زهرة ليكونَ قبضة من بيدر كما يقول المثل الشعبي. اخذت زهرة صورة الفتاة العربية المُسيطر عليها فهي تُهاجَم وتُغتَصب من جانب الجميع، الاقرباء والمتربصين بها، على حد سواء وان حصتها من القتل والدمار والقنص حصة كبيرة فهي غريبة في أهلها وفي بلدها وفي خارجه. تشظت زهرة بين الواقع المرير وما تحلم به من استقرار وامان وحماية، بين الجمال الذي تتخيله والبثور التي نُثرت على وجهها وشوّهته كما شوّهت قلبها وروحها بشكل عميق وهكذا لبنان جريح من اهله ويتوجع من آلامه المتراكمة التي ورثها من

تكوينه الاجتماعي ومنعطفات التاريخ التي جعلت منه زهرة مقتطفة .
في رواية حنان الشيخ ، زهرة ، نسخة من أمها ، هما البرتقالة وصرتها ، والشاهد على خيانة الام لما تصحبها معها لتلتقي بعشيقها بحجة زيارة الطبيب او الجدة والحجج المشابهة كي تُشبع الام رغبتها امام ابنتها زهرة . تلقي حنان الشيخ بظلال ظروف زهرة حيث تذهب الى حد اقصى من العلاقة الممنوعة لما يغتصبها خالها هاشم بوحشية وكانت ساكتة بالرغم من انها كان باستطاعتها الاعتراض وهذا السكوت هو الذي تسبب لها بالألم وبالمرض . ابتداء من مالك صديق شقيقها جربت زهرة الاغتصاب الى هاشم خالها في المنفى الى سامي القناص ، الاّ انّ لكل من هؤلاء هوية مختلفة وصورة خاصة في العلاقة مع زهرة تتميز عن الأخرى .
فان هاشم خالها وجد في زهرة عطر الوطن الذي اضطر ان يتركه بالرغم من وفائه له ، رمته الظروف الى خارج الوطن ، وفي وصول زهرة اليه ، وهي قطعة من هذا الوطن الذي يحبه ويتوق اليه فجرّب ان يدخل الى هذا الوطن ، ولكن كانت النتيجة اغتصاب زهرة ابنة اخته .
في سير الاحداث هذه وتراكم المفاهيم ، يُشاهد ان علاقة زهرة والقناص علاقة فريدة من نوعها مقارنة بعلاقاتها السابقة وبين الحرب القائمة في لبنان وفي الازقة والشوارع الملتهبة ، تعثر زهرة على القناص على سطح بناية في الحي ليغتصبها بإذنها ودون ذلك لتحمل من القناص ليكون موتها على يد اخر مغتصبيها .
هل يُعقل حقا انها ارادت ان تلهي القناص سامي بجسدها كي يتوقف عن القتل ساعات قليلة؟ زهرة أدركت انه يأخذ قيلولة فبل ان يلتقي بها ، ثم توقف عن ذلك وأصبح يقضي وقت قيلولته معها . فَلِمَ كانت ترجع اليه كل

يوم ولأشهُر؟! هذا سلوك غير سويّ ولا يوجد تفسير منطقي لخضوعها لسامي عدا أنها كانت تحتاج للخضوع لرجل قوي، رجل يماثل في التسلط أباها في عقلها الباطن وليس هناك أفضل من رجل قناص يمثل ذلك ويملأ هذا الفراغ وتشعر بالانتقام من ابيها الذي كان يضرب أمها بينما كانت تلتقي برجال آخرين وتحضر زهرة ذلك. المسؤول عن ربط لذة زهرة الجنسية برجل، تلك زهرة المضطربة، قد لا يكون أكثر من رمز لوالدها المتسلط والذي لا يتوانى عن الضرب، وهذا ما جعله يأتي في بالها بينما كانت تصرخ من اللذة بصحبة القناص. كان يأتي في بالها ابوها وهو قد أصبح خانعاً ضعيفاً لا يقوى على ضرب أحد.

تحليل عناصر الرواية الداخلية

ممكن تصنيف الرواية بالنسوية لاختيارها شخصيات نسائية والظلم الذي تلاقيه جراء التقاليد والأعراف وظروف الحروب القاسية والانتهاكات التي تحدث للنساء في الاحداث الدامية التي لا دور للمرأة في اعلانها او ايقافها. مع الاخذ بعين الاعتبار علاقات زهرة المضطربة وموازاة هذه العلاقات بالسلطة والنزاعات السياسية في لبنان، الا ان شخصية زهرة غامضة حيث من الصعب فهم أسباب اتخاذ القرارات العشوائية لديها، وأنها في أجزاء من القصة كانت مضطربة عقليا وتتصرف بعشوائية وفوضوية لا تحسب للعواقب حسابا، ولكن في امكنة أخرى من الرواية تتصرف بشكل طبيعي وهذا يترك القارئ مشوشا ولا يفهم بالتالي هل زهرة مريضة ام انها سويّة؟

التصق مفهوم الاغتصاب الجنسي للمرأة بالاغتصاب السياسي وللعلاقة بشكل آخر بين

العالم العربي والاستعمار الخارجي المفروض والذي لا مفر منه في صعود زهرة الى القناص وتكرار هذه العلاقة وكيف ان القناص قتلها بعد ما حبّلها ليتخلص منها ومن جنينها الامر الذي ممكن تفسيره في صناعة الأنظمة وتدميرها لأجل الوصول الى منافع استعمارية تخص حقبة بذاتها .

" وقد عرفت ثنائية الرجولة والانوثة ازدهارا عظيما في عصر الفتح والاستعمار والعنصرية . ففضائل الرجولة لم يتغن بها أحد كما تغنى الادب الأوروبي الكونيالي ، ادب البعثات ، والحملات ، والاستكشافات ، والفتوحات . وليس من قبيل الصدفة ان يكون نعت البكر والعذراء قد أطلق على قارات ومناطق وغابات بكاملها . " [69]

" الاستشراق جنسيا لمؤلفه التركي ايرفن جميل شك من الكتب الرصينة التي عالجت جوانب من قبح الحقائق التاريخية الموجعة التي خلفت ندوبا وجروحا عصية على الالتئام في صلب الجمعية لمختلف مكونات المشرق العربي وغير العربي على المستويين البشري النامي في التاريخ والجغرافيا السياسية التي يُعد واقعها الراهن مجرد ناتج شبه آلي عن سياق تلك الحقائق القبيحة او الدنيئة التي وسمت سيرورة علاقة المشرق بالغرب الاستعماري الأوروبي الذي وجد الأرض العربية وارض جوارها انوثة باذخة وفائضة يعجز ذكورها العقيمون والمُعقمون عبر مختلف الوسائل بما في ذلك الوسائل المحلية الذاتية عن تخصيب هذه الانوثة

[69]شرق وغرب ، رجولة وانوثة ، دراسة في ازمة الجنس والحضارة في الرواية العربية ، جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان

والنهوض بالمستوى المنشود لتلبية حاجاتها . . . " [70]

ان زهرة توهمت انها تحررت في علاقتها بالقناص الا انها بالتالي تُغتصب وتحبل وتقتل ، نهاية مأساوية للضعفاء ولضحايا الكبت والحرب والاضطهاد والتهميش تعكسها حنان الشيخ في روايتها مع الطابع الخطابي النسوي الملموس في هذه الرواية .

"سيطرة الرجال على النساء تفرض القيم الأبوية للخضوع والطاعة المستفادة من الأم أثناء الطفولة. تقوم الأعراف الثقافية بتعليم هذه الشخصيات — ثقافة الطاعة – لتجسيد جسد زهرة والتعامل معها على أنها مجرد سلعة. يؤدي عدم قدرة زهرة على المقاومة أو التعبير عن احتياجاتها إلى الانهيارات المتكررة — وهذه هي وسيلتها الوحيدة للهروب من أنماط العنف والاستغلال التي تهيمن على حياتها . "[71]

وهذا جعل الرواية حمالة اوجه مختلفة ومنها ما يُخيّل في زاوية أخرى ان زًهرة والًقناص سامي متساويان في علاقتهما ، فهما في منطقة حربية وزهرة كانت حرة في علاقتها بسامي

---

[70] مهماز يستحثّ السرد. . . (سرد الوجع السياسي). د. صلاح صالح، ص ٦٩ . لمحرر الأدبي للنشر والتوزيع والترجمة 2019

Women Writing Telling Stories of Pain:[71] Gender, Sexuality and Violence in the Novel of Khaled M. Al-Masri. ‹the Lebanese Civil War A dissertation submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of (Near Eastern Studies) in the Philosophy 2010 ‹University of Michigan

وتشعر بالسلطة على جسدها والتحكم به ولو بشكل محدود، على الأقل هي بذاتها من تذهب للقناص، فسامي لم يدخل الى بيتها جُنديا مهاجما ولا هي فريسة خطف واغتصاب، مع هذا كررت زهرة زياراتها للقناص وشعرت بشيء من شخصيتها الضائعة بعد ان أيقظ سامي شغفها، وهذا الايقاظ صار عادة تكررها زهرة وبالتالي قتلتها.
وزهرة المحكومة بالنظام الابوي القمعي يقتلها شعورها بالنشوة وارتباطها بطرف من النزاع مما سُمّي بالمقاومة، فإن الأحزاب اللبنانية حاضرة في الرواية، لكن هذه الأحزاب، بالرغم من ادعائها حماية الوطن والسكان الا انها تضحّي به وتهرب من الميدان لما تفشل في تنفيذ المهمة كما جرى لزهرة والقناص الذي قتلها وما فعله احمد شقيق زهرة في سلطته او خالها هاشم الذي اضطر للهجرة وترك الوطن ليغتصب زهرة خارج لبنان في منفاه وهنا صورة أخرى من الصور المتشابكة لسرقة الوطن والتصرف بأملاكه بشكل ضد الوطن ذاته.
تطرح حنان الشيخ أسئلة حول قضية التمييز بين الجنسين وتفوّق الرجل على المرأة من خلال صياغة النصوص والحوارات، فتظهر النساء رغبة في التحرر الجسدي، مع التركيز على الحق في التعليم والعمل واستقلال المرأة والمساواة مع الجنس الآخر في الحقوق الاجتماعية. أن شخصية المرأة تتصور في الرواية على أنها متمردة، على عكس شخصية الرجل الذي يظهر في صورة قمعية سلبية. كانت نهاية الرواية مأساوية، وتشير إلى أن تمرد المرأة في أشكاله لم يؤد إلى التحرر الكامل، بل انتهى إلى الضياع والموت.

كليلة ودمنة

للكتاب اهمية أدبية كبيرة وذاع صيته بين الارجاء في العالم وتُرجم الى لغات عديدة . ان القصص في الكتاب جاءت مناسبة لطبائع وصفات الحيوانات والطيور في اختيار ذكي لها تتمثل كل واحدة منها في طبيعة الانسان من الخير والشر ويبرزها بشكلها الادبي والفني بهدف توصيلها للقارئ .

وكما نعرف ان الحيوان والطيور لا تتكلم لكنها تشترك مع الانسان بالغرائز والطبائع وهذا ما يعطي الكتاب ميزة فنية وادبية يجعله ذا قيمة لأنه يترجم الحكم والمعارف عن السنة الحيوانات والطيور وهي غير ناطقة أساسا وبهذا يتلقى القارئ الرسائل ويفكر بها . لغة الكتاب فيها من البلاغة والسلاسة الأدبية التي تجعل قراءتها سهلة .

ولأنه جاء من الهند ومرّ بالفارسية واشتهر في العربية وتُرجم منها ومن خلالها شق طريقه الى العالمية هكذا يكون قد لعب دور الجسر الثقافي بين الشعوب الشرقية مثبّتا حكمها ومعارفها القديمة ناقلا منها بين دفّتيه على لسان الطير الحكمة والامثال التي تجعلها تعلق بالذهن وتترك اثرا جميلا في القلب .

في القرن الثاني الهجري الموافق للثامن الميلادي تجمه عبد الله بن المقفع الى العربية في العصر العباسي . يقول الباحثون انه يعود للغة الهندية وكُتب بالسنسكريتية في القرن الرابع الميلادي ثم تُرجم للبهلوية في القرن السادس الميلادي .

تلعب الحيوانات أدوارا تطابقها طبيعتها ومن أبرز الشخصيات الأسد الذي اخذ دور الملك وخادمه الثور واثنين من ابن آوى وهما كليلة ودمنة. من أطرف قصصه قصة باب الناسك والضيف. الكتاب لا يشبه الرواية الحديثة لان قصصه يغلب عليها الوعظ وإعطاء الدروس فتصبح مملة للكبار في كثير من القصص ولهذا انها تناسب الأطفال وصغار السن. وبما ان الكتاب أصله بالهندية فجاء يناسب تك البيئة وهذا ما يجعله أحيانا غريبا على الثقافات الأخرى.

الى أي عائلة وأسرة لغوية تنتمي اللغة العربية؟ اذكر/اذكري لغة او لغات من نفس العائلة؟

اختلف الباحثون في الحديث عن نشأة اللغة العربية وتاريخ تكوينها فتقدموا بافتراضات علمية متنوعة واختلفوا في امكنة واختلفوا في أخرى . أن اللغة العربية وصلت الينا من خلال الشعر الجاهلي ونصوص القران الكريم الا انه كانت هناك لهجات للعربية لدى بعض القبائل وكانت تقاس بلهجة قريش لما لها من مركزية تجارية وادبية ودينية . يشير الباحثون الى وجود لهجات مختلفة للقبائل العربية، ولكن عدة عوامل قدمت الفصحى على اللهجات الا وهي تحالفات القبائل، أيضا الشعراء الذين رسخوا اللغة الأدبية ونشوء مدن كبرى كمكة والحيرة والأسواق كسوق عكاظ . [72]

تعتبر اللغة العربية من عائلة اللغات السامية، تشعبت هذه اللغات من ارومة واحدة وفي خروج الساميين من ارضهم وتكاثر اعدادهم اختلفت لغتهم الأولى، الامر الذي ادّى الى بروز الاختلاف بينها، ثم جاءت تأثيرات البيئة حتى صارت كل واحدة منها لها خصوصيتها

---

[72] العربية تطور وتاريخ دراسة تاريخية لنشأة العربية والخط وانتشارهما تأليف: كريم زكي حسام الدين ص١٦ - ٣٢

ولهجتها ثم أصبحت لغة مستقلة.[73] تنتمي اللغة العربية الى السامية التي يتفرع منها هي الآرامية والكنعانية ولتكون الآرامية أصل الكلدانية والآشورية والسريانية، ولتكون الكنعانية مصدر العبرانية والفينيقية، والعربية تشمل المضرية الفصحى ولهجات مختلفة تكلّمتها قبائل اليمن والحبشة.[74]

كيف تفرعت اللهجات من العربية الفصحى؟

هاجرت اللغة العربية من شبه الجزيرة العربية مع الفتوح الإسلامية واستقرت في بيئات جديدة كان أهلها يتحدثون بلغات مختلفة حتى أُستبدلت العربية مكانها وأصبحت اللغة السائدة فيها. وظهرت العربية بذاك الشكل النمطي الجزيري الى ذلك الصفات الكلامية والتعبيرية والاصوات الأخرى القبائلية العربية والاعجمية في عهود الفتوح الإسلامية. العربية كلغة الديوان تواصل بها العرب وهم بُناة الدولة واصحابها ومن معهم، اما لغة الحديث اليومي والدارج في الأمور العامة فاتخذت صوراً خاصة لكل بيئة منها. ظهر بشكل أكبر التباين في اللهجات العربية في سقوط الدولة العباسية واخذت أنواعا مستقلة عن بعضها وهكذا ظهرت اللهجات العربية المتفاوتة في كل ناحية حسب مقومات البيئة وشروط الحياة من حيث الجغرافيا والسكان والخلفيات الثقافية والتمايز الاجتماعي.

---

[73] بحث حول نشأة وتطور اللغة العربية، اعداد حسن بربورة

[74] ibid

الكلمات الآتية مستعملة في العربية الفصحى، ابحث عن مرادفاتها في لهجتين مختلفتين

الكلمات التالية مستخدمة في الفصحى لكن لها مرادفات تُستعمل في اللهجات العربية في العصر الحديث.

مَن: في اللهجة المصرية مين وفي العراقية مِن ومن هو، منو.

لماذا: ليش ولويش في اللهجات الشامية والعراقية والخليجية وليه في اللهجة المصرية.

ايْضا: كمان في اللهجة الشامية و"هَمْ" في اللهجة العراقية.

طاولَة: ميز وتخت في اللهجة العراقية وطرابيزة في المصرية.

اريكة: صوفا وكنبة بالشامية والقنفة والكنبة بالعراقية

سْروال: بنطلون بالعراقية وبنطال بالشامية

مَا: شنهو باللهجة العراقية، ايش باللهجة الخليجية وشو بالشامية

حافلَة: مصلحة باللهجة العراقية، اتوبيس باللهجة المصرية

شاي: جاي بالعراقية وشَيْ بالشامية

حذاء: غندرة وبسطال باللهجة العراقية وبوط بالمصرية وشحاطة بالشامية

اب: بوية وبابا ويبا في اللهجة العراقية وبيّي باللهجة الشامية

غْرفَة: قوظة باللهجة الشامية ودار باللهجة العراقية

عادة العربية الفصحى هي اللغة المستعملة في الكتابة، ولكن أحيانا الكتّاب يستعملون اللهجة في كتابة الحوار او في الرواية كلها، اذكر/اذكري ثلاث وجهات نظر حول هذا الاستعمال من المقالات التي قراءتها. اذكر/اذكري المراجع

فقدت معظم اللهجات المصرية بعض الأصوات العربية القديمة، أمثال: الثاء والذال والظاء والقاف واستبدلت بها على الترتيب: التاء والدال، والضاد، والهمزة والجيم. والذي يلحظ في هذا التغيير بصفة عامة هو الانتقال ببعض الأصوات الرخوة القليلة الشيوع في اللغة الفصيحة الى نظائرها من أصوات الشدة.[75] وبما ان التحول في اللهجة لدى الطفل لم يجد من يصلح له اخطاءه مقارنة بالفصحى فنتج عنها الفروق الخطيرة بين لهجة الكلام واللغة الفصحى. واتسع لهذا البون بين لهجة الحديث وبين لغة الكتابة ما يتطلب جهود مكثفة لرفعه.

[75] في اللهجات العربية، إبراهيم انيس ص ١٩٥

ان انتشار اللهجات على حساب اللغة الفصحى يؤدي بالتالي الى تجزئة الامة وانفصام عُرى وحدتها. فالعامية ليست لهجة واحدة، انها عاميات متعددة وكثيرة، لذلك الدعوة اليها هي الدعوة الى التجزئة والتحلل. وبصورة كلية اللهجات لا تلبي متطلبات الكتابة والتأليف وفي حقل النقاشات لا ترقى الى التعبير عن الأمور الثقافية والفكرية والفلسفية. الحل يكمن في عملية التقريب بين الفصحى الكلاسيكية والمعاصرة كي تُنتج منهما لغة عربية حديثة تتماشى مع العصر والتحولات التقنية. [76]

ظهر تيار نادى بتسهيل اللغة العربية وتبسيط قواعدها وتليين شكل كتابتها الا انه لاقى تعارضا من بعض العلماء خشية ان لا يكون هذا التبسيط يضر اللغة العربية ويضعفها. والبعض قال بالتوسيع في التعريب والاشتقاق من المعرب كما كان العرب القدامى يفعلون في نحو: درهم مدرهم، ودينار مدنر ولجام ملجم. وبعضهم رفضوا طريقة التعريب مؤثرين التوسع في استعمال الالفاظ العربية لتأدية المعنى الأجنبي. اما الاشتقاق من المواد اللغوية العربية مثل السيارة، اتوموبيل، والدراجة البايسيكلت، اما بإحياء الالفاظ العربية القديمة وإعادة استعمالها مثل: المعطف: البالطو، والشطيرة: الساندويش، اما بترجمة اللفظ بمرادفه مثل الصور المتحركة للسينما توغراف، وبالنتيجة توصلوا الى ان يبحثوا في اللغة العربية عن أسماء المسميات

---

[76] ص ٤٧- ٧٠ ***الازدواجية اللغوية*** في ***اللغة العربية*** تأليف ***عباس المصري*** وعماد أبو حسن

الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة ، فإذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الاعجمي بعد صقله ووضعه على منهاج اللغة العربية ، ويستعمل في اللغة العربية الفصحى بعد ان يعتمده المجمع اللغوي الذي اُلّف لهذا الغرض . [77]

هناك فرق بين الكلمات المستعملة في العربية الفصحى واللهجات، ما الأشياء أخرى يستعملها الباحثون للتمييز بين اللهجات؟

الفروق في تلك العناصر القديمة تكون في الضمائر والاعداد وأسماء الإشارة والموصول ، والألقاب وأدوات الربط بين أجزاء الجملة ، والاشتراك العام في كيفية تركيب الجمل . ويكون أيضا في الاختلاف في الصفات الصوتية ، فإنه اختلاف في مخرج الأصوات اللغوية ، وفي وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات ، وفي مقياس بعض أصوات اللين ، وفي التباين في النغمة الموسيقية للكلام وفي قوانين التفاعل بين الأصوات المجاورة حين يتأثر بعضها ببعض . [78]

---

[77] تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر ، الدكتور نفوسه زكريا سعيد ص ٢٢٨

[78] في اللهجات العربية، إبراهيم انيس ص ١٧

ما دور الدين الاسلامي بالنسبة للغة العربية؟

وجود اللهجات العربية قد زامن نشأتها ، ولكن تغلبت اللهجة القرشية على الأُخريات بفضل ما كان لأهلها من سلطان ديني واقتصادي وسياسي وبفضل ما كان لها من تفوق على سائر اللهجات العربية من حيث غزارة المادة ورقّة الأسلوب والقدرة على التعبير ، فأخذت مكانة مرموقة وتسيّدت على اللهجات العربية قبل نزول القرآن. فلما نزل القرآن بلغة قريش عزز سيادتها وثبّت دعائمها وقوّى سلطانها ، فبفضله ازدادت ضبطا واحكاما وغزرت مادتها واتسعت اغراضها وارتقت معانيها واساليبها . وبفضل القرآن ظلت لغة الادب والكتابة حتى يومنا هذا وصار القرآن هو الحافظ لها من الضياع .[79] امتدت دولة الإسلام شرقا وغربا امتدادات واسعة في عهد بني امية ، وصحبتها العربية في كل مكان وصلت اليه الفتوح ، وكان هذا إيذانا بعصر جديد للغة العربية تأثرت فيه بلغات البلاد المفتوحة وأثرت فيه .[80]

من جهة أخرى جعل دينُ الإسلام اللغةَ العربية لسانه للفهم والعبادة والتواصل حتى صار يتواصل المسلمون بالعربية من جميع الأعراق والأراضي ما ساعد في انتشارها، والتي يتعلمها الداخلون في الإسلام هي الفصحى

[79] تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر، الدكتورة نفوسه زكريا سعيد
[80] دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة عبد الحليم النجار

وليست اللهجات العربية السائدة في الأقطار هنا وهناك. وهكذا ترسخت اللغة العربية بعيدا عن النعرات الشعوبية والقومية بأفضلية العرب او الاعاجم، بل لأنها لغة دين الإسلام وكتابه المُبجّل القرآن.

بعض الباحثين يعتقدون ان الاهتمام باللهجات له تأثير سلبي على استعمال الفصحى، في الامارات العربية المتحدة هناك لغة أخرى لها تأثير سلبي على استعمال الفصحى، ما هي اللغة؟ ولماذا تأثيرها على العربية سلبي؟

لقد أُعتبر الوضع الازدواجي في أية لغة أنه يشكل عوائق مختلفة للناطقين بتلك اللغة، كما اعتبره الكثير من الباحثين عائقا للتعليم والتطور التربوي والاقتصادي والتماسك القومي.[81] يوكد الدارسون لوضعية التعليم في الامارات العربية المتحدة ان المشكلة تقع في الفوضى في الحضور والمناهج والتساهل في تطبيق القواعد الخاصة والقوانين المرتبطة بالتعليم في المدارس الامر الذي أدى الى ظهور امية لدى الطلبة وعجز في التحدث والكتابة في الفصحى.[82]

---

81 ازدواجية اللغة: طبيعتها ومشكلاتها في سياق التعليم، محمد راجي الزغول

82 Poor literacy in Arabic is 'the new disability' in the UAE, FNC told

FNC members blame new grading system but minister says the fault lies with teachers. Ola Salem

أن هناك إقبالاً واضحاً للطلبة في دولة الامارات العربية المتحدة لتعلم اللغة الإنجليزية. لا عيب في ذلك إذا تم احداث توازن بين اللغتين العربية والانجليزية، هذا ويؤكد العلماء ان الطفل يستطيع بسهولة ان يتعلم أكثر من لغة بالتزامن دون التأثير السلبي على لغة الام. التركيز على تعلم الإنجليزية يضرّ باللغة العربية وأن هذه العوامل تقلل من فرص الاتجاه لتعلم اللغة الأم، كما تقلل من ممارستها ومن تداول مفرداتها، مما يؤدي بالتالي إلى تهميشها واضعافها لصالح اللغة الإنجليزية الامر الذي ينتج منه اضرار جسيمة في بنية المجتمع والهوية وشخصية الفرد.

تم تكليف فريق من الباحثين الدوليين للتحقيق في حالة اللغة العربية في دولة الامارات العربية المتحدة. أكد الفريق في النتائج التي افرزها على تحسين المناهج الدراسية في المدارس وإعادة تدريب المعلمين لتدريس اللغة العربية وتدريس مواد أخرى في اللغة وتعزيز ثقافة قراءة اللغة العربية وانه يجب على الإعلام أن يلعب دوراً أكبر في دعم تعليم اللغة العربية. وكان المجال الأخير الذي تم إبرازه هو الحاجة لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها.[83]

---

[83] Arabic is not dead, but teaching must improve, UAE report shows

The report commissioned by Sheikh Mohammed outlines key ways to help the language flourish, including fostering a culture of reading.
Mohammed N Al Khan

ما "مَجمع اللغة العربية" وما عمله؟

تأسس المجمع عام 1932 من عشرين عضوا من علماء اللغة العربية نصفهم مصريون والنصف الاخر من العرب والمستشرقين . أهداف المجمع هي أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة ـ على العموم ـ لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد ـ في معاجم أو تفاسير خاصة ، أو بغير ذلك من الطرق ـ ما ينبغي استعماله أو تجنبه: من الألفاظ والتراكيب. أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثًا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات ، وتغير مدلولاتها . أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

كما قرات في المقالات هناك وجهات نظر عدة حول العربية الفصحى واللهجات واستعمالها .
اكتب مقالة تكتب فيها وجهة نظرك ، استخدم خمة مراجع . عدج الكلات 1500–2000

دائما كان الجدل قائما بين استعمال اللهجات على حساب اللغة العربية الفصحى او استخدامها الى جنب الفصحى ولكل حزب دلائله ، فمثلا الح طه حسين على الكتابة بالفصحى لكون العامية ليست لغة خالدة ، بينما كتب فيها توفيق الحكيم في الحوار بين شخصيات رواياته مبررا ذلك انه لا يستطيع ان

يجعل العتال والفراش وسائق التاكسي يتحدثون الفصحى .

من قديم الزمان كان هناك الاختلاف بين اللهجات العربية قائما قبيل مجيء الاسلام . حتى سعى اللغويون ان يجمعوا اللغة من بعض القبلئل العرببة التي كانت لهجاتها قريبة من الشعر الجاهلي والقران الكريم ، فأخذوا منها ما ما يشبه الفصحى في خصائصها واهملوا تلك اللهجات التي رأوا فيها اختلافا عن النمط الصحيح .[84]
المشكلة اللغوية في العصر الحديث هي التفاوت والفرق بين العربية المكتوبة والاخرى المستعملة في التخاطب والتي تدعى باسنلء مختلفة مثل المحكية والعامية والدارجة والشعبية ، وهذه اللهجة متحللة من ضوابط الاعراب وقواعد اللغة ما يجعلها ضعيفة فاقدة القابلية للتداول في الكتابة والنطق . واللغة العربية الفصحى تُعدّ من اهم ركائز الامة والتي تحافظ على وحدتها وتراثها وتماسكها الثقافي والسياسي وهويتها القومية التي تبرز من خلالها لتشارك الثقافات في العالم في الابداع والانتاج الادبي والثقافي . ويُشاهد اليوم بوضوح استهداف اللغة العربية الفصيحة من جانب اطراف عدة ومن جوانب مختلفة بواسطة تيارات شعوبية او دُعاة حداثة يقللون من اهميتها ويروجون لابدالها باللهجات واللغات الاجنبية ، معللين ذلك تارة في صعوبة تعلّم العربية واستخدامها وتارة اخرى في افول دورها العلمي والثقافي والآكاديمي فيدعون الى استخدام اللهجات

84 بين الغاية والفصحى: مسألة الازدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة، Avlman Riman , Ali Darwish

لسهولة استعمالها لخلوّها من القواعد والحركات الاعرابية الامر الذي ان تحقق يؤدي الى تفكك الامة وتجزئتها واندثار حضارتها وآثارها الادبية الثمينة وكنوزها المعرفية العظيمة .

ان ما يجري من طغيان اللهجات العربية على الفصحى لا يجب ان يُدعى صراعا بل هو شذوذ وخروج عن الاصل الذي ظهر منذ سقوط الدولة العباسية ثم العهد العثماني الذي تراجع فيه استخدام الفصحى ثم عهد الاحتلال الجديد الذي جاء نتيجة للحرب العالمية الاولى ونشأة الدولة القومية وبناء ورسم الحدود الجيوسياسية والتي عزلت الاقطار العربية عن بعضها وكرست لاستتخدام اللهجات وقوّت النعرات المناطقية والقطرية بينها حتى صار كل طرف يفخر بلهجته الدارجة .

النتيجة

من النقاط المهمة للحفاظ على اللغة العربية هو فرض تعليمها في المؤسسات التعليمية مثل الروضات والمدارس والمعاهد والجامعات وتدريب التلامذة على مهارات الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة وان يكون الجميع المعلمين اساتذة لغة عربية ليس المعلمون في مادة الاداب فقط .المحاضرات المدرسية والجامعية ولغة الحوارلابدّ ان تكون بالعربية الفصحى .

التوجه الى العمل التطوعي والجماعي في الموسسات العامة ودعم . تقوية اللغة الفصحى وذلك من خلال الاناشيد والمسرح وكتابة والشعر والقصة والموسيقى والتي تُنشر في دوريات ادبية تحليلية بالمجان او باسعر رمزية .

الدعاوى التي تتهم الفصحى بالعقم والبداوة وتلقي عليها مسئولية تخلف الامة وتدعو

للعامية انها دعاوى خاطئة بل مغرضة حيث لو لم يكن الاهتمام الرسمي باللغات في الول المتقدمة والدعم المركّز لها لما برزت بهطا الشكل ولما صارت لغة علم ومعرفة ولما استمرت بحياتها ورونقها. فللعربية سجل حافل بالانجازات العلمية والادبية والفكرية العظيمة قدمته لما كانت في تلك الازمنة اللغة السائدة والمسيطرة.

وهنا عليه ان يُثار السوال الى انه كيف صار احيانا يسخرمن الذي يتحدثالعربية الفصيحة لو لا تفشي الجهل والامية والانحطاط الكبير الذي حل بالامة العربية التي القرآن كتابها وهو باللسان لعربي المبين وعليهم ان يقرأوه ويعلموه وكيف يأخذون منه الاحكام والمفاهيم وهم لا يفهمونه؟ الى ذلك كتب السيرة والحديث والتفسير والشعر والنثر بكل اشكالها.

وفي دراسة تاريخ اللغة يتضح ان المشكلة اللغوية مشكلة قديمة واللهجات نشأت معها بعد انتشارها والهجرات التي حدثت لها وقد عالجها اللغويون سابقا بإختيارهم اللهجات الاقرب الى الفصحى وترك ما تبقى منها.

ما تواجهه اللغة العربية اليوم اعقد مما واجهته في العصور السالفة وفي ايام الفتوح الاسلامية وهجراتها وتحولاتها الى بيئات حديثة لأن المجتمع العربي عليه ان يزود ذاته بآلات معرفية كي يلحق بركب الحضارة المتعددة الاطراف واحدى اهم الآلات والادوات هي اللغة.

بالتالي يحق القول في العلاقة بين اللغة العربية الفصيحة واللهجات ان يكون هناك تعاون وتآزر بدلا من ان يكون تنافرا ونزاعا، فبإمكان العامية ان تتشرب من الفصحى من الصور والالفاظ والمصطلحات ومن الممكن ايضا للفصحى ان تنهل من العامية الامثال والحكم

والكنايات وروح البيئة والجو الادبي والثقافي السائد ي المنطقة والقطر، وبإخذ المواد الادبية العامية واخضاعها للبحث واادراسة في المعاهد والجامعات تكون الفصحى قد لعبت دورا كبيرا في التقريب بين اللهجات للشعوب العربية وانشاء لهجة بيضاء، وبناء جسور بين الاقطار العربية للتبادل الثقافي والتعارف الحضاري في الامة خاصة بين شقيها الغربي والشرقي كي تتحرك وتتفدم بالتدريج صوب الوحدة اللغوية والمفاهيمية والهوياتية التي تتحق بالمدى الطويل.